

أعلام العرب

١١٨

الدكتور علي ابراهيم

د . محمد محمد الجوادي



اعلام العرب
١١٨

الدكتور على ابراهيم

يدٌ من حديد ويدٌ من حرير

د . محمد محمد الجوادى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

الاخـــــراج الفنى

راجيـــه حســـين

إهـــــداء

الى ذكرى أساتذتى المغفور لهم

مصطفى صالح فهمى، أحمد الباجورى، وأبو الفتوح الكنيسى ،

وجمال زايد وفرج شعلان ٠

تحية وفاء وعرفان ٠

تقـــديم

بقلم الأستاذ الدكتور ابراهيم جميل بدران

فى زمن زادت السرعة من نبض الحيـــاة ، وانغمس الناس فى مشاكل شتى استغرقت فكر وجهد ووقت الكثير ، والتهى الناس فى رصـد قصص وصـــور لاتمت للنجاح ولا للوطنية ولا للتجويد بشىء ، ارســـل الى الدكتـــور محمد الجوادى مســـودة الكتاب الذى يحرره عن عمـلاق من جيل العمالقة ، عن على باشا ابراهيم .

على ابراهيم ذلك العصامى الذى حباه الله بذكاء خارق وقدرة متميزة جعلت منه رائدا « فعـــلا » لنهضـــة مصر الطبية ، وأبا « حقيقيا » لمهنة الجراحة وتطورها فى العصر الحديث فى مصر ، وأستاذا « فريدا » أعز به الله التعليـم الطبى فى مصر .

بل وقد كان رحمة الله عليه مدرسة متفردة خرجت منها أجيال متفوقة ومبادىء مازالت تعز من تمســـك بها بسمو الخلق وتجويد المهنة وتقوى الله .

وانى وان لم أشرف بأن أتتلمذ عليه ، لكننى تتلمذت فى مدرسته فالاستاذ الدكتور عبد الله الكاتب والأســـتاذ الدكتور مصطفى الشربينى اللذان حبانى الله بأن آكون فرعا صغيرا من مدرســـتهما الوارفة الظـلال قد علمانى صــغيرا

وتوليانى مدرسا واحتميت بعلمهما من مسارب اذا أصابت مهنة الطب والجراحة بالذات حولتها الى صنعة وليس رسالة ٠

كان هذا هو غرس على ابراهيم ، وقد كان اسمه يتوسم كل صنعة شامخة وكل عمل جاد وكل رؤية صائبة ٠

لم أره فى حياتى الا مرتين مرة فى الجامعة ومرة فى عيادته بشارع الصنافيرى مع أبى وكان زميل صباه ، عاشا سويا فى شقة واحدة فى أسيوط حوالى سنة ١٩٠٥، وكان والدى دائما مايذكر لى كفاءته وقدرته واستقامته وعلاقاته التى من خلالها أعطى للطب عامة والجراحة خاصة وضعها المرموق فى خريطة النمو فى مصر ، وهيأ للأطباء الصورة التى تليق بدورهم فى خدمة المجتمع من خلال رئاسته للجمعية الطبية المصرية ، ونقابة الأطباء ووزارة الصحة ٠

وهو أول من مصر الطب فى مصر فلله الحمد ، الذى وهب مصر صورة لا تنسى وقدوة تحتذى وقدرة جبارة أضافت لمصر الكثير وقدمت للانسان المصرى الخير وأعطت للطبيب المصرى الأمل والثقة لكى يتفوق فى كافة المجالات ٠

ابراهيم بدران

مقدمة

كان الدكتور على إبراهيم عالماً عالمياً جليلا ، ولكن علمه لم يحل بينه وبين الجمهور ولا حال بينه وبين التطبيق العملى والعلمى فى الحياة العامة وفى خارج حدود العلم ، وكان الدكتور على إبراهيم جراحاً قديراً مشغولا ليل نهار ، ولكن جراحته لم تشغله عن أن يشيد صروح الطب المصرى الحديث على أروع ماشيدت صروح مصرية لفرع من فروع الحياة فى العصر الحديث،وكان الدكتور على إبراهيم عميداً للطب ووزيرا للصحة ونقيباً للاطباء ورئيساً للجمعية الطبية المصرية، ومديراللجامعة ، وكان فى كل هذه الخمسة أعظم من حقق الجدارة والاستحقاق فجمع مالم يجمعه أحد من قبله ولا من بعده ، وجمع

**بهذا القلوب حول القلب الكبير الذى خفق
ذا رتفعت معه الرايات خفاقة ثم توقفت عن
الخفقان وبقيت الأعلام التى رفعها .**

**والسمة البارزة فى على إبراهيم أنه لم يكن
عظيما فحسب ، ولكن عظمته كانت عظيمة
النوع ، لاأقصد أن أقول عظمة على عظمة ،
ولكنى أقصد عظمة العظمة أو عظامة فى
عظمة ، والفرق كبير ، كالفرق بين جمع
المائة على المائة ، وضرب المائة فى المائة**

وأمثال على إبراهيم ممن يقومون بجهده الضخم ، أو بعضه ، تشغلهم الجهود عن أشياء كثيرة ، فقد تشغلهم عن صحتهم فيفنون . أوهم عن الفنون والآداب والجماليات والكماليات ينصرفون ، أو عن استكمال النصف الآخر يحجمون ، أو فى تربية الأبناء يقصرون ... الخ ولكن على باشا كان مع ما كان صاحب حس فنى راق ، وثروة من التحف والآثار الإسلامية تفوق مجموعات متاحف ، وكان ناقداً ذواقة ، وكانت له أسرته ، وكان له أبناؤه الثلاثة أعظم مايكون الأبناء .

ولم يكن على باشا فى كل ما أوتى من مناصب ومراكز بالرجل يختار بين عشية وضحاها ، فيقال : نعم الاختيار ، وهنيئا للمنصب به ولكنه كان يخلق هذه المراكز ، ولم يكن بعد ذلك — يتخلى عن مناصبه

أو يتركها فى منتصف الطريق يأسا أو زهدا أو خوفا ، وإنما واصل الرجل جهده فى كل مكان وفى كل موقع حتى آتاه الأجل .

شيد على باشا فى جامعة الإسكندرية ، وقصر العينى ، ودار الحكمة ، ومستشفى العجوزة ، ومستشفى الهلال الأحمر للعظام وفى غير ذلك ، ماشاد بذكره ، ولكن الأهم من كل هاتيك هم أولاء الأساتذة الكبار الذين رباهم على إبراهيم شباباً وأخذ بأيديهم كباراً ووضعهم على رءوس الأمجاد على رءوس الأشهاد، لاليفيدهم فحسب ، ولكن ليفيد بهم بلدهم .

وأظن أن أبرز صفات الرجل وأجمعها أربعة : أنه كان معلما ، من أولئك الذين يعلمون لا الجيل ولا الأجيال ، ولكن يعلمون أساتذة الأجيال ، أو بتعبير آخر كان أستاذ الأساتذة ، كان جراحا شهدله الجراحون من جيله والجيلين السابق واللاحق فى مصر وفى خارج مصر بأنهم لم يشهدوا مثله « قلب أسد، وعين صقر ويد سيدة حانية » وكان بناء لم تعهد مصر الحديثة مثله إتقان بناء وإتمام بناء ، وكان قائداً وفق فى كل ماقاد إليه ، وترأسه فلم يخطئ مقصده ، ولم يخدع مرصده.

وهذا الكتاب يعرض فى بابه الأول حياة على ابراهيم كما أراد لها الله أن تكون حافلة بالأحداث ، حاملة للثمار ، فى ترتيب زمنى ، لايفتأ يتفرع إلى خطوط تتوازى ، وتتلاقى فى اللانهاية، إذ لم تكن هناك نهاية لمطامح على إبراهيم ، والباب يعرض كل هذا فى اختصار شديد يفى للعمل الضخم على عظمته التى لاتحيط بها الألفاظ مهما بلغت قوتها

التعبيرية ، ولهذا فإن المؤلف يدرك أن أول ماسيشكو منه القارئ هو هذا التركيز فى العبارات ، خصوصا تلك التى يصف بها قدرة أو براعة أو إنجازاً أو قضية لعلى إبراهيم ، ولكن المؤلف مع هذا يجب أن يفخر بهذا التركيز بأكثر مما يود أن يعتذر عنه .

ويعرض الباب الثانى بعض أفكار على إبراهيم، فى المجالات الطبية وغير الطبية عرضاً سريعاً ، ولكنــه مستوعب وعميق ، جاءته السرعة من إسراع على باشا إلى الأعمال ، وإحجامه عن الأقوال ، وجاءه الاستيعاب والعمق من شخصية صاحب الأفكار .

ويلخص الباب الثالث موقف على إبراهيم من الطب المصرى الحديث ، ومكانته منه ، على نحو يضع الرجل برأيه وجهده فى صعيد واحد ، ولايذهب المؤلف هنا إلى التحليل — الذى هو مغرم به كما قد يقال عنه — فى هذه الناحية بالذات إيمانا منه بأن فلسفة جراحنا فى تطوير الطب والنهوض به توافقت إلى أبعد حدود التوافق مع معركته فى هذا التطوير والتحديث ، ومع نظرة من سبقوه إلى هذا الهدف يعملون من أجله .

وهناك بعد ذلك الباب الرابع ، وقد لايكون من حق المؤلف أن يضع عليه عنوان الباب الرابع لأنه ليس رابع باب يكتبه المؤلف عن على باشا وإنما هو عصارات من خلاصات أقوال أهل القصيد فى الرجل العظيم . وقد كان المؤلف على وشك ألا يضع هذه الأشعار تحت عنوان الباب الرابع ، وأن يجعلها على هيئة الملحق ثم أقنعه بالإحجام عن هذه

الفكرة ، والأخذ بما أخذ به ما ارتآه بعد تأمل طويل من أنه لا فضل له فى الرابع ولا فى الثلاثة الأوائل من قبل الرابع :

ولعل هذه الأشعار لأمراء البيوت والأزجال تحيط بمالم يحط به المؤلف من فضائل الرجل وسجاياه ، وتحكى عن شمائله ومكارمه فى قالب أروع ، وعبارة أنصع وبألسنة كثيرة ، لا قلم واحد .

ثم يأتى بعد ذلك الباب الخامس «البيبليوجرافيا» يتمثل فيه ما أخذ المؤلف نفسه من التحقيق والتدقيق والترتيب والتنظيم فى عرض أعمال الرجال وأعمال الرجال عن الرجال ، والمؤلف هنا لا يسعه إلا أن يعبر عن أن خير زاد أعانه على هذا الجهد كتابا بعد كتاب هو ما لاقاه من التقدير لهذا الجهد من قارئ بعد قارئ .

وبعد فهذا هو على إبراهيم فى سطور ، نعرض بها الكتاب ، وهذا هو الكتاب يعرضه بعد ذلك فى صفحات ، هى تعبير عن مجموعة من أروع الصفحات فى تاريخ مصر ، ومن أصدقها فى تاريخ الطب ، ومن أعزها على النفس عند المؤلف .

د . محمد الجوادى

نائب طب القلب

كلية طب الزقازيق

الباب الأول

حياة الدكتور على باشا ابراهيم



مولــده :

ولد الدكتور على ابراهيم فى العاشر من اكتوبر سنة ثمانين وثمانمائة وألف فى مدينة الأسكندرية وكان والده ابراهيم عطا رجلا عصاميا شهما يتمتع بقسط وافر من علو النفس وقوة البنية حتى بعد أن تجاوز الثمانين من عمره ، ويرجع أصل على إبراهيم من ناحية والده الى قرية « مطوبس » بالقرب من منية المرشد مركز « فوة » بكفر الشيخ ، اما والدته فكانت اسكندرانية الموطن مغربية الأصل .

بين الاسكندرية والقاهرة :

وتلقى على ابراهيم تعليمه الابتدائى فى مدرسة رأس التين الأميرية ، حتى حصل على الشهادة الابتدائية سنة اثنين وتسعين وثمانمائة وألف (١٨٩٢) وكان ترتيبه الأول . وواجه على باشا مع هذه الأولية أول العقبات التى صادفها فى حياته ، فقد أغلقت مدرسة رأس التين الثانوية أبوابها ، واضطر على باشا أن يذهب إلى القاهرة لاستكمال تعليمه والتحق صاحبنا بالقسم الداخلى من المدرسة الخديوية بالقاهرة وظل طيلة سنوات الدراسة الثـانوية الخمس مجدا فى دراسته إلى أبعد الحدود عاملا على الاستزادة من حقائق العلوم ، والتغلغل إلى أسرارها وقد راقته فروع العلوم الرياضية فلاقت فى نفسه قبولا واستحسانا (دفعا الى المزيد من البـحث والدراسة ، فكان يستعير

من معارفه الذين يكبرونه فى السن كتب مدرسة الطب التى تتحدث فى بعض هذه العلوم بشئ من التفصيل ، وكان التعليم فى ذلك الوقت لايزال باللغة الانجليزية ، وهكذا أتيح لصاحبنا أن يكون لنفسه قاعدة أساسية فى كل من هذه العلوم حتى حصل على المركز الثانى فى البكالوريا سنة سبع وتسعين ١٨٩٧ .

فى مدرسة الطب :

والتحق الدكتور على باشا بمدرسة الطب فأصبح طالبا من الاثنى عشر الذين تضمهم دفعته ومن الستة والعشرين الذين تقوم عليهم مدرسة الطب بسنواتها الست سنة سبع وتسعين وثمانمائة والف (١٨٩٧) وكان عميد الكلية فى ذلك الوقت هو الدكتور ابراهيم حسن وقد استعان على أعمال إدارة الكلية بالدكتور كتنج وكان استاذا للتشريح بالكلية ، وسرعان ما تولى الدكتور كتنج عمادة الكلية فى العام التالى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وألف (١٨٩٨) وعلى الرغم من أن مدرسة الطب كانت فى ذلك الوقت تعانى شر حالات التدهور ، إلا أن على باشا استغل قلة عدد الطلاب وماترتب على ذلك من جو مشجع على الدراسة ، والمناقشة والبحث ومراجعة الأساتذة والمعامل ، واستطاع أن يحصل العلم خير تحصيل ، فكلا برجع إلى الكتب ويراجع الأساتذة ، ويتفحص الجثث فى المشرحة ويجرى التجارب فى المعامل ويتتبع حالات المرضى ليلا ونهارا ، وهكذا كان على ابراهيم الطالب فى جده واجتهاده فظل طيلة الفترة التى قضاها فى معاهد الدرس شخصية مرموقة بين

الطلاب بعلمه وعمله وخلقه ؛ ولم يكن فى حاجة الى بذل كل هذا الجهد للاحتفاظ بالأولوية ، ولكنه كان يجتهد إلى الحد الذى جعله فى مصاف الأساتذة وهو طالب .

وسوف نتحدث عن هذه الفترة من حياة على ابراهيم فى مدرسة الطب بشئ من التفصيل على لسان على باشا نفسه فى البـــاب الثالث من هذا الكتاب الذى يعرض لآراء الدكتور على ابراهـــيم فى تاريخ التعليم الطبي فى مصر فى العصر الحديث .

على أننا سنورد فى الفقرات الثلاثة التالية أبرز المواهب والكفاءات التى أظهرها على ابراهـــيم ابان طلبه للعلـــم .

أساتذته فى الطب :

فى مدرسة الطب عرف على ابراهيم العلامة المصرى الكبير الدكتور عثمان غالب فتعلق به ، وصار يلازمه بعد انتهاء وقت الدراسة ، فيصحبه إلى بيته ، ويقضى معه الساعات الطوال يتكشف دقائق أبحاثه ، وجلائل دراساته ، وجدير بالذكر أن الدكتور عثمان غالب هذا هو أول من كشف عن دورة حياة دودة القطن ، كما أن له بحوثاً عالمية فى علوم البيولوجيا ، وتتلمذ على ابراهيم على يد الدكتور / محمد باشا الدرى شيخ الجراحين فى الجيل السابق لعلى ابراهيم ، وأخذ عن الدكتور محمد علوى باشا أول الباحثين فى أمراض العيون المتوطنة وسيد الاكلينيكيين فيها وصاحب الفضل على الجامعة المصرية القديمة .

في وظيفته وهو طالب :

فلما كان على ابراهيم فى السنة النهائية من كلية الطب عين مساعدا للدكتور سيمرس أستاذ علمى الأمراض والميكروبات ، وقرر له راتب شهرى عن وظيفته هذه غير أن على باشا قد استفاد أضعاف مرتبه بما اكتسبه من خبرة وتدريب على يد العالم الانجليزى الكبير ، فقد مارس صاحبنا فى ظل أستاذه البحث العلمى على خير ما تكون الممارسة ، وتكونت له فى مرحلة مبكرة شخصية العالم الباحث المحقق ، ولم يكن التبكير فى هذا بالنسبة لسنه فحسب ، وإنما بالنسبة لحركة البحث العلمية فى الطب وغير الطب .

أول دبلوم الطب :

وكانت الدراسة فى مدرسة الطب حين التحق بها على ابراهيم ست سنوات ، ولكن الدكتور كوبريرى الذى استدعاه الدكتور كيتنج من انجلترا ليضع تقريرا عن حالة المدرسة ، نصح الحكومة بأن تختصر سنى الدراسة إلى أربع فقط ، ولاقى اقتراحه هذا محله عند « دنلوب » المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف ، وهكذا تخرج على باشا ابراهيم بعد أربع سنوات عام واحد وتسعمائة وألف (١٩٠١) فى الطب ، وبترتيب الأول ، وبفارق ثمانين درجة بينه وبين الثانى على الدفعة .

وقضى الدكتور على ابراهيم العام الأول بعد تخرجه كما قضى العام الأخير قبل تخرجه فى مساعدة استاذه الدكتور سيمرس فى أبحاثه

العلمية ، وهكذا أتيح له أن يدرس علمى الأمراض والميكروبات دراسة علمية مستفيضة ، وأن يلم بأدق تفاصيلها واحدث الاستكشافات فيهما مما ساعده فيما بعد مساعدة كبيرة فى المهام التى انتدبته لها وزارة الصحة .

يكتشف وباء الكوليرا :

وفيما كان الدكتور على ابراهيم يؤدى فترة الامتياز فى قصر العينى كانت عيون أولى الأمر فى المصالح الصحية المختلفة عليه ، يطمعون فى الاستفادة منه والاختصاص به لما حققه من نجاحات متوالية ، حتى إذا جاءت السنة التالية (١٩٠٢) وانتشر وباء غريب فى قرية « موشا » بالقرب من أسيوط وحارت مصلحة الصحة فى أمر هذا الوباء ، وانتدبت الدكتور على إبراهيم للبحث عن سببه ، وهنا ظهرت الفوائد العملية الحقيقية لدراسات على ابراهيم المتعمقة ، إذ لم يلبث صاحبنا فترة قصيرة إلا وتوصل إلى حقيقة الداء وقرر أن الوباء هو الكوليرا الأسيوية واستطاع أن يدرك أن مصدر هذا الوباء هو الحجاج الذين حملوا معهم ميكروبه ، وبعث على ابرهيم بقئ المرضى إلى مصلحة الصحة لتحليله فردوا عليه بأن القئ خال من ميكروب الكوليرا ، فلم يكن منه إلا أن أرسل اليهم مرة ثانية ليعيدوا تحليله وكان قرار الطبيب الشاب موضع مناقشات طويلة انتهت برجوح كفة صاحبنا والاستجابة لمقترحاته فى اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمرض قبل انتشاره بالصورة الوبائية

عيادة خاصـــة :

وقبل أن تمضى سنتان على حصول على ابراهيم على دبلوم الطب استطاع أن يفتتح بالاشتراك مع صديقه الدكتور عبد الحميد محمود عيادة خاصة وكان نصيب على ابراهيم من الأعباء المالية مائة جنيه كان قد اقتصدها من قبل لتحقيق هـــذا الأمـــل ، وحرص على ابراهيم على أن يجهـــز عيادته الناشئة بأحدث الآلات المتوفـــرة فى ذلك الزمـــن .

كفاح فى العمل الحر :

غير أن هذا التجهيز ، وهذه العبقرية الطبية لم تكن لتغنى صاحبها شيئا فى جو أشبع بالاقتناع بزعامة الأطباء الأجانب وقدرتهم التى لا توازيها قدرة الأطباء الوطنيين مهما كانوا ، بيد أن على ابراهيم لم يستسلم لهذا الكساد الذى بدت نذره فى الأفق ، ولكنه أخذ يعمل ويترك لعمله أن يتحدث عنه ، وهكذا استطاع صاحبنا أن يضع قدميه على أول خطوة فى سلم النجاح وهو لا يزال فى أول خطواته إلى الحياة العامة .

فى بنى سويف :

وفى (١٩٠٣) قرر المدير الانجليزى لمصلحة الصحة المصرية تعيين على ابراهيم مديرا لمستشفى بنى سويف بالنيابة ، والحق أن

الله سبحانه وتعالى قد أتاح لعلى ابراهيم فرصة ذهبية فى هذا الموقع ، ففى بنى سويف بدأ صاحبنا يحقق مجده الجراحى ، إذا جاءه عمدة إحدى القرى المجاورة بابنه ، وكان مصابا بحصوة فى المثانة ، فقرر على إبراهيم اجراء العملية فى اليوم التالى ، ودهش العمدة حين علم أنه سيعود الى قريته مصطحبا ولده مع أن عملية الحصوة كانت إلى ذلك الحين تستدعى بقاء المريض فى المدينة قريبا من المستشفى والطبيب الى أن يأذن الله له بالشفاء ، ولم يكن على ابراهيم مجازفاً بصحة الولد ، ولكنه كان يستغل تقدم الطب فى اراحة الناس وإزالة آلامهم وسرعة علاجهم فأجرى العملية بطريقة التفتيت وهى الطريقة التى اختزلت المدة الطويلة الى دقائق قليلة .

بداية الشهرة :

ذاع خبر على ابراهيم فى بنى سويف ومصر الوسطى ، وكأنما كانت عملية الحصوة معجزة من المعجزات حققها صاحبنا ، ومضى على ابراهيم يرى هؤلاء من آيات الطب وفنون الجراحة فارتفع قدره عندهم الى منزلة سامية ، فكانوا يذهبون إليه يستشيرونه بعد عودتهم من لدن أستاذه الدكتور الدرى باشا ، وكان صاحبنا الشاب يشير بإجراء عمليات جراحية نصح أستاذه بعدم اجرائها ثم يقوم بإجرائها فتنجح العملية وتضيف الى نجاح على ابراهيم نجاحا جديدا .

أول بحوثه العلمية :

وفى سنة (١٩٠٤) تنقل على ابراهيم ما بين أسوان حيث رقى مديرا لمستشفاها الأميرى وبين طوخ حين انتدبته مصلحة الصحة مرة ثانية لبحث وباء انتشر فى قرية «صيفا» وتوصل على ابراهيم إلى أن هذا الوباء هو « الحمى الفحمية » وأن هذه الحمى نتقلت الى الفلاحات عن طريق أقراص الروث الجاف ، وكن يستعملن هذه الأقراص كوقود فى الأفران البلدية التى يخبزون فيها ، وهذا هو السر فى أن المصابين بهذا المرض كانوا من النساء من دون الرجال ، ونشر على ابراهيم نتائج أبحاثه التى توصل فيها الى تحديد طبيعة هذا المرض فى مجلة الجيش الملكى ، وكان هذا البحث هو أول أبحاثه العلمية المنشورة .. وما أن انتهى على ابراهيم من اسوان ومن طوخ حتى نقل فى ذات العام الى أسيوط مديرا لمستشفاها الاميرى :

أجنبى فى وطنه :

ووجد على باشا نفسه فى موقف لايحسد عليه فى مدينة أسيوط عاصمة الصعيد، فلم تكن شهرته التى طبقت بمصر الوسطى لتجدى نفعا أمام العقيدة الاسيوطية الراسخة فى الاقتناع بالاطباء الأجانب وحدهم ، ولم يكن هناك أجنبى عن الأجانب إلا على ابراهيم ، وفى أسيوط عدد كبير من عيادات هؤلاء الاطباء ، بل إن فيها

مستشفى الأمريكان ، وليس للأسايطة حاجة إذن إلى على ابراهيم .

ثمانون قرشا فى الشهر :

وهكذا ظل على ابراهيم طوال فصل الشتاء لا يجد إقبالا عليه اللهم إلا إلى الحد الذى بلغ فيه دخله من عيادته ثمانين قرشا فى الشهر .

الحظ فى الصيف :

وما أن أقبل الصيف حتى واتت الأقدار على ابراهيم إذ سافر الأطباء الأجانب إلى بلادهم لقضاء عطلة الصيف ، ولم يبق فى أسيوط غير صاحبنا ولم يلبث الناس أن اضطروا للذهاب إلى هذا المصرى الذى تركه لهم الأجانب فى بلدهم فاكتشفوا حين جربوا علاجه العبقرية الفذة التى حرموا أنفسهم منها طوال الشتاء، ولم يكن اليوم يمضى إلا ويحقق على ابراهيم إضافة جديدة إلى رصيده من الحنكة والبراعة والمهارة والقبول عندالناس ، وأخذت شهرة على ابراهيم تنتشر حتى طبقت آفاق القطر المصرى كله ، وصار المرضى يحجون من كل حدب وصوب إلى أسيوط حيث على ابراهيم .

الهواء ينقل العدوى :

وفى أسيوط أجرى على ابراهيم بالاشتراك مع الدكتور طودثانى أبحاثه الطبية ، وقد اثبت صاحبنا فى هذا البحث إمكان انتقال العدوى إلى جروح العمليات بواسطة الهواء فى بعض الظروف وعلى الأخص فى الأشهر التى تهب فيها رياح الخماسين وكانت مثل هذه النتيجة فى مثل هذا الوقت غريبة على الأفكار . ونشر هذا البحث فى بعض المجلات الطبية الانجليزية ، وترتب عليه أن تقـــرر إنشاء غرف مغلقـــة للعمليات الجراحية فى سائر المستشفيات الاميرية .

نظام الممرضـــات :

ولم يكن هذا أعظم ما حققه على ابراهيم فى أسيوط ، ولكنه حقق فى عاصمة الصعيد انجازين طبيين آخرين لا يقلان أهمية عن هذا الانجاز ، فنى اسيوط استن على ابراهيم للطب المصرى نظام الممرضات ، ولم يكن هذا النظام موجوداً قبل أن يتفق صاحبنا مع أحد الأديرة فى أســـيوط على ارسال راهبـــات للتمريض للمستشفى نظير مكافأة شهرية ، وأرسل على ابراهيم الى مصلحة الصحة خطابا بما فعل طالباً منهم صرف هذه المكافأة ، فعارضوه ولكنه تشدد وأرسل لهم خطابا أبدى فيه اعتزامه دفع هذه المكافأة من جيبه الخاص فى حالة رفض المصلحة تحملها ، ورضخت

الصحة لارادة على ابراهيم وكان فى رضوخها بداية لتقدم جديد أصابه الطب المصرى .

استئصـــال الطحال المتضخم :

أما الإنجاز الثانى فكان قيام على ابراهيم بإجراء عملية استئصال الطحال المتضخم سنة (١٩٠٧) ، ولم يكن هذا انجازا فى حد ذاته فحسب ولكن قيمته تزداد إذا علمنا أن اول عملية استئصال طحال متضخم تم اجراؤها بنجاح فى قصر العينى كانت على يد الدكتور ريتشارد سنة (١٩١١) .

على بك الاسيوطى :

ومر العام السابع من القرن العشرين ، وتلاه الثامن والتاسع والعاشر وقد بلغ على ابراهيم قمة المجد الطبى والجراحى فى اسيوط وأصبح دخله من مستشفاه يربو على أربعمائة جنيه فى الشهر الواحد بعدما كان أربعمائة مليم ، واشتهرت عبقرية على ابراهيم فى أرجاء القطر المصرى كله رغم أنه كان فى اسيوط بل ان الناس ظلوا يسمونه بعدما انتقل الى القاهرة بالأسيوطى وظل هذا اللقب يلازم جراحنا الكبير طيلة حياته .

عودة الى قصر العينى :

ولكن على ابراهيم لم يقنع بهذا الذى حققه من مجد ، فلم تكن نزعته العلمية التى حباه الله بها لتقف به عند مثل هذه الدرجة

بحسب ، وإنما كان صاحبنا طموحا الى الارتقاء بمستوى الطب المصرى الى أرفع الدرجات وكان نتيجة لما لمسه بنفسه من الخبرة والممارسة يؤمن بأهمية الدراسات الاكاديمية والتجريبية فى تحقيق التقدم ـ والرقى فى الطب والجراحة ، وحين قدم الدكتور على لبيب مساعد كبير الجراحين فى قصر العينى طلبا باستعفائه من منصبه هذا ، عرض أولو الأمر على على ابراهيم شغل هذا المنصب ، فلم يتردد ولم يتوان ، وطار الى القاهرة مغامرا بما حقق من شهرة واسعة وربح جم فى اسيوط ومضحيا بما انتهى اليه من صيت ذائع وسمعة ناصعة فى الصعيد .

العمليات على الجثث

بدأ على ابراهيم يدرس التشريح من جديد ، ولم يتخلف مرة واحدة طوال سنتين عن قضاء عطلة الأسبوع فى المشرحة ، واستأذن أستاذه الدكتور كتنج فى اجراء العمليات الجراحية التى توصل اليها الجراح الالمانى الكبير « كوخر » على جثث الموتى وأخذ ابراهيم يجرى هذه العمليات على جثث الموتى عملية عملية ، ومرة بعد مرة حتى تمكن من هذه العمليات الى حد كبير ، وهنا تجلى عزم على ابراهيم الذى أخذ يدرس عمليات « كوخر » مستعينا بالمجلات الطبية ، ولم يكن هناك فى مصر من يقرأ عن هذه العمليات سوى على ابراهيم ولم يكتف صاحبنا بالقراءة ، ولكنه كان يلتمس طريقه الى تجريب هذه العمليات ، ولم يكن ضميره الإنسانى

ليشجعه على البدء فى اجراء هذه العمليات على المرضى مباشرة ، ولكنه كان يذهب فيجرى هذه العمليات على الجثث حتى استطاع أن يدرك بنفسه أسلم الوسائل وأضمن الخطوات وأهم الاحتياطات التى ينبغى له أن يراعيها ، بل كان على ابراهيم يجد فى تجاربه هذه حلولا بديعة لكثير من المشكلات التى قدتطرأ عليه فى أثناء اجرائه للعمليات الجراحية .

الصمود والنجاح :

وبدأ على ابراهيم يجرى عملياته وفقا لهذه الطريقة فواجه أول ما واجه التحدى ، وسرعان ما واجه الفشل ، غير أنه لم يخضع ، وانما تلقى الضربات فى رباطة جأش ، وعزم لايلين وها هى الأيام تمر فتثبت له نجاحا أى نجاح وينفرد على ابراهيم بطرق فريدة فى اجراء العمليات الجراحية .

داء الفيل :

ولم يمض على على ابراهيم سنتان فى مدرسة الطب حتى شارك الأستاذين الكبيرين مادن وفرجسون فى بحث عن « التصريف الليمفاوى فى علاج داء الفيل » فنشر فى المجلة الطبية البريطانية سنة اثنتى عشرة (١٩١٢) .

حروب البلقان :

وفى أواسط أكتوبر سنة اثنتى عشرة (١٩١٢) أعلنت حرب البلقان، ونشأت فى مصر جمعية الهلال الأحمر المصرية ، ولم يكن نشوء هذه الجمعية الا تعبيرا عن الروح المصرية الأصيلة فى الحرص

على القيام بأعمال الخير والمشاركة فى ضروب البر ومسايرة الأمم فى سبيل التعاون الدولى الإنسانى وكان أول أعمال هذه الجمعية أن هيأت العدة لارسال بعثتين الى مواقع الحروب واستطاعت جمعية الهلال الاحمر المصرية أن توفد بعثتيها هاتين فى فترة مبكرة من الحرب (نوفمبر ١٩١٢) وتوجهت البعثة الأولى تحت رئاسة اللواء الدكتور سليم موصلى باشا الى قرية سازلى بوسنة فى شمال غرب الأستانةوكانت مركزاً لتجمع الجرحى والمصابين من قوات الدفاع عن شطلجة أما البعثة الثانية فقد رأسها الدكتور على ابراهيم وتوجه بها الى اسطنبول مضحياً بما بلغه فى القاهرة من مجد جراحى مؤثل، ومن عمل مستمر مثمر، تاركاً راحة الخلود واطمئنان الأستقرار الى متاعب الجهاد من أجل التخفيف من آلام الناس .

على ابراهيم فى اسطنبول :

واستطاعت البعثة التى على رأسها على ابراهيم أن تنشئ فى اسطنبول مستشفى مركزية تجرى فيه العمليات الجراحية الكبرى . وقد حقق هذا المستشفى تقدماً كبيرا من النجاح بفضل مهارة على إبراهيم الجراحية ، وقدراته الإدارية التى هيأت له أن يتولى فى أثناء هذه الحروب قيادة ثلاث وحدات طبية من وحدات الجيش العثمانى وأن يقوم بإجراء مئات العمليات كل أسبوع فى كل من هذه الوحدات .

على بك ابراهيم :

ويعود على ابراهيم من حروب البلقان برتبة البكوية من الدرجة

الثالثة سنة ثلاث عشرة (١٩١٣) فالثانية فى نفس السنة كما يختار عضوا فى المجلس الاعلى لجمعية الهلال الاحمر ويستأنف على بك ابراهيم كفاحه وجهاده فى قصر العينى .

الهلال الأحمر :

وما ان اندلعت الحرب العالمية الاولى سنة أربع عشرة (١٩١٤) حتى نشأت جمعية الهلال الأحمر المصرية مرة ثانية، وكان الأمير أحمد فؤاد (السلطان ثم الملك فيما بعد) على رأس الجمعية فى هذه المرة ، وقد حرص على أن يكون الدكتور على بك ابراهيم عضوا فى مجلس ادارة الجمعية وأن يتولى أمر مستشفى جراحى أسسته الجمعية فى ذلك الوقت للعناية بجرحى الحرب الذين تطوح بهم الأقدار الى مصر.

الاستقلال القومى :

وفى هذه الأثناء التى اندلعت فيها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) كان على ابراهيم يخوض حربا ضارية فى سبيل تحقيق الاستقلال القومى فى مجال الطب وكان على ابراهيم يجاهد وهو يملك زمام المبادرة فى يده فيما يتعلق بمجاله ، بينما كان الساسة المصريون يكتفون فى جهادهم من أجل الاستقلال بالحصول على الوعود المعسولة والتصريحات المكتوبة ، وقد ذهب على ابراهيم يحاول جمع كلمة الأطباء لإنشاء جمعية أو نقابة ولكن جهوده لم تفلح بسبب التعنت الذى لقيه من جراء عدم تعاون الأطباء الأجانب مع الأطباء

المصريين وكانت للأجانب الكفة الراجحة فى ذلك الوقت وكانت لهم جمعية قصروها على أنفسهم وسموها الجمعية الطبية الدولية :

المجلة الطبية المصرية :

ولم ييأس صاحبنا ولم يترك فكرته ، ولكنه احتال لها من طريق آخر وأخذ يعقد الاجتماعات مع زملائه من الأطباء المصريين وعمل على القضاء على الخلافات التى كانت موجودة بين بعض فئاتهم، ثم كان الاجتماع التاريخى فى أول سنة سبع عشرة (١٩١٧) حين دعا على ابراهيم صفوة من زملائه فى عيادته الخاصة بشارع الصنافيرى وتمخض اجتماع هؤلاء الأطباء العشرة عن قرارهم باصدار المجلة الطبية المصرية، واكتتبوا فيما بينهم بخمسمائة جنيه مصرى أوقفوها على إصدار المجلة وحمل على ابراهيم على عاتقه أن يكون صاحب امتياز المجلة وتولى الدكتور أحمد عيسى بك رئاسة التحرير ، وصدر العدد الأول من المجلة الطبية المصرية فى ابريل سنة سبع عشرة (١٩١٧) يتصدره أول بحوث على بك ابراهيم الطبية فى اللغة العربية وكان بحثا عن «بلهارسيا الحالب» أجراه بالاشتراك مع الدكتور أنيس بك أنسى .

محاولات نقابية :

وفى سنة ثمان عشرة (١٩١٨) عاد على ابراهيم يكرر محاولاته فى انشاء نقابة الأطباء أو جمعية طبية وحاول فى اجتماع عقد فى

الجامعة الأهلية أن يجمع بين الأطباء الأجانب والمصريين فى انشاء نقابة مختلطة فلم يفلح سعيه فى هذه المرة أيضاً .

الجمعية الطبية المصرية :

ثم كان يوم الجمعة السادس عشر من يناير سنة عشرين (١٩٢٠) حين اجتمع اثنان واربعون طبيبا مصريا بدار الجامعة المصرية بدعوة من الدكتور على ابراهيم وزملائه الذين اصدروا المجلة الطبية المصرية ، واتفق الجميع على انشاء الجمعية تحت اسم (الجمعية الطبية المصرية) وانتخبوا من بينهم لجنة تدير حركة الجمعية وتهيمن على أعمالها (أى مجلس الادارة) وكان على ابراهيم حصيفاً بعيد النظر حين عمل على اسناد — رئاسة الجمعية الى الدكتور عيسى باشا حمدى ناظر مدرسة الطب فى عهد الخديوى اسماعيل وشيخ الأطباء بلا منازع فى ذلك الوقت وانتخب على ابراهيم وكيلا أول ، والدكتور على لبيب وكيلا ثانيا والدكتور نجيب اسكندر كاتبا للسر ، والدكتور محمد كامل الخولى مساعدا لكاتب السر والدكتور محمود ماهر بك أمينا للصندوق والدكاترة محمد طاهر ونجيب بك محفوظ ومحمد صالح وسالم هنداوى ومحمد سامى كمال أعضاء وحدد الأطباء المؤسسون الهدف من انشاء الجمعية بأنه (احياء اللغة العربية الطبية والتمشى بها مع العلم الحديث والاهتمام والبحث بنوع خاص فى الأمراض المصرية البحتة والأمراض الأخرى التى تتشكل بأشكال مختلفة عند تغيير اقليمها عندنا والنهوض الأدبى بما يليق بكرامة

الطب والأطباء) ، وهكذا يتضح لنا إلى أى مدى كان هؤلاء الأطباء الرواد يضعون فى اعتبارهم عاملى القومية والوطنية ويفهمون هذين العاملين الفهم الحق ويتلمسون الطريق الى تحويل الإيمان بهما الى واقع عملى .. كل هذا قبل أن تمتلىء الساحة السياسية المصرية — بالمفاهيم الواهمة فى هذين الشأنين ، كذلك ينبئنا الهدف الثالث عن اضطلاع الجمعية الطبية بوظيفة النقابة التى لم تكن قد نشأت بعد .

رئيسا للجمعية الطبية المصرية :

وأخذ الدكتور على ابراهيم يبذل جهده ما وسعه الجهد فى النهوض بالجمعية من شتى النواحى طيلة السنوات الستة الاولى من عمرها إذ تعاقب على رئاستها الدكتور عيسى حمدى باشا حتى انتقل إلى رحمة الله فى الثامن عشر من أغسطس سنة ١٩٢٤ فخلفه المغفور له الدكتور سعد بك الخادم وبقى رئيسا بالنيابة خمسة شهور ثم تولى الدكتور طفيل باشا حسن رئاسة الجمعية فى يناير سنة خمس وعشرين (١٩٢٥) ولم تطل مدته إذ اختاره الله إلى جواره فى إبريل سنة خمس وعشرين (١٩٢٥) وتولى على ابراهيم رئاسة الجمعية فى يناير سنة ١٩٢٦ ولم يزل يتولى هذه الرئاسة عاما بعد عام بإجماع الأصوات حتى توفاه الله .

نهضة علمية قومية :

احتضن الدكتور على ابراهيم الجمعية ومجلتها أو قل المجلة

وجمعيتها باعتبار الأسبقية إلى الوجود وقد ظلتا تتخذان من عيادته فى شارع الصنافيرى مقراً دائما طيلة ثلاثة وعشرين عاما انتهت بالفراغ من بناء دار الحكمة، واستطاعت الجمعية المصرية بفضل الله الذى أجراه على يد على ابراهيم أن تقوم بأنشطة ضخمة فى مجالات متعددة فنظمت حفلات علمية أسبوعية تركت فيها الحرية للباحثين من حيث اللغة والموضوع مشترطة أن يكون التجديد رائداً للجميع، واستقدمت من أوروبا أقطاب الطب عاما بعد عام لإلقاء محاضرات فيما تجردوا له وتفردوا فيه ، وأجرت مسابقات علمية فى فروع شتى من الطب وخصصت للفائزين فى هذه المسابقات مكافآت مجزية .

المؤتمرات الطبية العربية :

على أنه لاينبغى لنا أن نترك الحديث فى شأن الجمعية الطبية المصرية من دون أن نذكر طرفا من نشاط هذه الجمعية على المستوى العربى وهو النشاط الذى دفعه على باشا ابراهيم دفعات قوية إلى الأمام ، فبعد سنة من توليه الرئاسة أخذت الجمعية فى عقد مؤتمرات سنوية تحرت فى الترتيب لها أن تتنقل بها لا بين أمهات المدن المصرية فحسب ، ولكن بين عواصم الأقطار الشقيقة فعقدت مؤتمراتها السنوية فى القدس وبيروت ودمشق وبغداد كما عقدتها فى القاهرة والأسكندرية والأقصر ،وكان من نتيجة ذلك أن نشأت صلات وطيدة بين أطباء هذه البلاد العربية ، فتقاربت أفكارهم فيما يتعلق ببرامج الدراسة ، وأتيحت لهم الفرصة لتبادل العلم

والمعـــرفة ودراسة كل جديد ، ومناقشة المصطلحـــات الطبية والعمل على توحيدها والاستنارة بالجهود المتفرقةالتى بذلت فى كل بلد من بلدان العروبة ، والحق أن جهد الجمعية فى هذا المجال لم يكن إلا ارهاصا قويا بالتقاءالعرب واجتماع كلمتهم ، وقد سبقت الجمعية بخطواتها فى هذا الشأن الإجراءات والاجتماعات السياسية التى انتهت بإعلان قيامجامعة الدول العربية .

مجلة رائدة تصنع مكتبة زاخرة :

أما المجلة الطبية المصرية فقد خطت خطوات واسعة فى سرعة هائلة ، وكان على باشا يختص هذهالمجلة بأبحاثه القيمة ضاربا بذلك المثل والقدوة لزملائه من علمائنا الافذاذ ، ثم انتقل على باشا بالمجلة من محيطها المحلى الى محيط عالمى حين أفسح فيها المجال لنشر بعض الأبحاث باللغات الأجنبية سنة (١٩٣٠) ، وإذ ذاك أخذت المجلة الطبية تتبوأ مكانها فى الدوائر العلمية العالمية ، فأخذت هذه المراكز فى أنحاء العالم تبعث فى طلبها ، وتتبادل مع الجمعية مطبوعاتها ، وبلغ عدد الهيئات والجمعيات التى أخذت فى تبادل المطبوعات مع المجلة أكثر من مئة وستين ، وعندئذ بدأت الجمعية فى تكوين مكتبتها العلمية الضخمة المتميزة بدورياتها، إذ بلغ عدد الدوريات فى هذه المكتبة أكثر من ٦٠٠ ، كما تتميز هذه المكتبة ببعض المجموعات الأثرية من كتب الطب .

دار الحكمة :

ثم ان على باشا ابراهيم ظل يجاهد من أجل انشاء مبنى للجمعية الطبية المصرية تكون بمثابة مركز اجتماع الأطباء والتقاء المشتغلين بالمهن الطبية ، حتى استطاع سنة (١٩٣٢) أن يحصل على قطعة الأرض التى أقيمت عليها « دار الحكمة » ، ووافقت الحكومة على تأجير هذه المساحة التى تبلغ ألفا ومأتين وأربعة وخمسين متراً بإيجار اسمى جنيه واحد فى السنة ، ثم اجتهد على باشا فى اختيار أروع التصميمات لمبنى الدار ووضع الحجر الأساسى فى سبتمبر سنة (١٩٣٦) واستطاع أن يحصل من الحكومة على اعانة قدرها عشرة آلاف جنيه سددت فيما بعد من الإعانة التى كانت وزارة المعارف تمنحها للجمعية الطبية المصرية ، وتولى المهندس المعمارى القدير مصطفى بك فهمى الاشراف على البناء حتى خرجت «دار الحكمة» آية من آيات العمارة الإسلامية ، وقد تكلف بناؤها اكثر من عشرين ألفاً من الجنيهات ، واختير لها هذا الاسم تيمنا باسم المعهد الطبي الذى أنشأه الخليفة المأمون فى بغداد ، والفاطميون فى مصر فى عصور الإسلام المزدهرة وهكذا أتيح للجمعية الطبية ولمجلتها ولمكتبتها وللجمعيات الطبية الأخرى التى نشأت فى أعطافها أن تنتقل الى المقر الذى يليق بها فى حى الطب والأطباء ، وحين أنشئت النقابـــة فيما بعد وجدت فى مبنى « دار الحكمة » رحابة الصدر التى وسعتها :

الجمعيات الطبية :

وكان على باشا ابراهيم يشجع قيام الجمعيات الطبية المتخصصة فى إطار الجمعية الطبية المصرية الأم ، فأسس مع ثلاثة و خمسين ومائتين من زملائه وتلامذته الجراحين جمعية الجراحين المصرية سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة و ألف (١٩٣٢) ، وجمعية الأمراض العقلية والعصبية سنة أربع وثلاثين (١٩٣٤) ، والجمعيـــة المصرية للأمراض المتوطنة وطب البلاد الحارة سنة خمس وثلاثين (١٩٥٣) وجمعية تاريخ الطب سنة خمس وثلاثين (١٩٣٥) ، وجمعية جراحى الأسنان سنة خمس وثلاثين (١٩٣٥) — وجمعية مكافحة الدرن سنة ست وثلاثين (١٩٣٦) وجمعية أخصائى المسالك البولية سنة (١٩٣٩) .

وبعد فهل لنا أن نعود مرة ثانية إلى الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الأولى حين ـ أخذنا الحديث عن كفاح على إبراهيم فى ايجاد الرابطة العالمية والمهنية بين الأطباء . هل لنا أن نعود فنمسك بخيط جهود الرجل فى مجالات أخرى فنشير الى الجهود المتعددة التى سارت فى خطوط متوازية تعمد كلها إلى موازاة خط واحـــد هو خط العمل المثمر الجاد من أجل العلم والصحة والوطن والرقى و التقدم والاستقلال ، و هو خط مستقيم أيما استقامة ، إن لم يكن أكثرها استقامة .

يديــر قصر العينى فى الحرب الأولى :

فأما قصر العينى فقد تحول سنة ثمان عشرة (١٩١٨) إلى مستشفى حربى ، ومنح مديره الدكتور كيتنج أجازة طويلة ، وتولى على ابراهيم ادارة قصر العينى بكفاءة واقتدار ، فلما وضعت الحرب أوزارها أنعم عليه بوسام عضوية الامبراطورية البريطانية مكافأة له على ما أظهر من الهمة والبراعة فى أداء هذا العمل الشاق .

زعــيم الاطباء فى ثــورة ١٩١٩ :

وانتهت الحرب العالمية الأولى ، واندلعت ثورة١٩١٩ مطالبة بالاستقلال لمصر وبجلاء الانجليز عنها ، وكان الأطباء فى بادئ الثورة بمعزل عنها ، أو قل ان اسهامهم فيها كان فى حدود الاسهام الفردى وسرعان ما جمع على ابراهيم جموع الأطباء فى عيادته الخاصة بالصنافيرى وحضهم على الاستمرار فى الثورة ، واستمرت مصر فى حالة من الغليان حتى صدر تصريح فبراير سنة اثنتين وعشرين (١٩٢٢) وتوالت الأحداث السياسية بعد ذلك من تكوين الأحزاب واجراء الانتخابات وقيام البرلمانات وتشكيل الحكومات وعلى ابراهيم فى شغل عن هذا بواجبه الأسمى فى رعاية المريض والحنو على المصاب وبتطبيب الجروح وتجبير الكسور ، ولكن هذا لم يمنعه من المشاركة برأيه يوما بعد يوم فى القضايا السياسية والوطنية المطروحة ، ولم يمنعه أن يبدى تأييده للأحرار الدستوريين

فى مطلع حياتهم السياسية وأن يدخل انتخابات البرلمان ليفوز بمقعد دائرة عابدين فى ثانى انتخابات برلمانية ، وهى الانتخابات التى أجرتها حكومة زيور سنة خمس وعشرين (١٩٢٥) حتى إذا انعقد البرلمان صباح الرابع والعشرين من مارس وانتخب سعد زغلول باشا رئيسا لمجلس النواب تضايقت الحكومة والقصر وصدر قرار الملك بحل مجلس النواب بعد تسع ساعات فقط من عمره ، وكانت هذه الساعات التسع هى كل اسهام على ابراهيم فى عضوية النواب .

استقلال الارادة :

وما زال على ابراهيم بنفسه على هذه الحال من الجد والاجتهاد فى عمله من دون أن يعزل نفسه عن مجتمعه ، ومن دون أن يضع نفسه فى قالب من القوالب التى اتخذها المبرزون من أبناء المجتمع لأنفسهم .

مع سعد والنحاس :

هذا وقد ظل على ابراهيم صديقا لسعد زغلول يحظى بتقديره وتوجيهه ومساعدته طيلة حياته ، كان سعد ينصح على ابراهيم بالابتعاد عن السياسة حتى يحافظ على أوليته وريادته للجراحة وكذلك فعل على ابراهيم .

وكان النحاس باشا زميل على ابراهيم فى فصل الدراسة بالمرحلة الثانوية وظل الرجلان يحتفظان كل للآخر بالود والتقدير طيلة حياتهما ، حتى إذا مات على ابراهيم كان النحاس فى مقدمة المشيعين .

بالإضافة إلى هؤلاء كان على ابراهيم صديقا وفيا وناصحا مخلصا لكل الزعماء المصريين يلم بهم عند ما يلم المرض بهم ، ويلمون به من دون أن يلم بهم المرض .

تمصير وظائف التدريس

ويكافح على ابراهيم فى كلية الطب من أجل تمصير التعليم الطبي والحصول على وظائف التدريس للمصريين ولايزال يكافح حتى استطاع أن يقنع الدكتور كيتنج مدير المستشفى بوجهة نظره ، وانتزع للمصريين ست وظائف رئيسية فى أقسام المستشفى المختلفة واستمر على هذا المنوال فى سعيه الدءوب من أجل هدفه السامى .

أول استاذ مصرى للجراحة :

وفى سنة أربع وعشرين (١٩٢٤) اختير على بك ابراهيم لشغل وظيفة أستاذ الجراحة وكان بهذا أول مصرى يشغل هذا المنصب ، ثم اختير صاحبنا فى عام ستة وعشرين (١٩٢٦) وكيلا لكلية الطب عقب قيام الجامعة المصرية وانضواء مدرسة الطب تحت لوائها .

عمادة الطب :

وفى اليوم الثلاثين من شهر أبريل **١٩٢٩** عقد مجلس كلية الطب جلسة خاصة لانتخاب عميد الكلية يخلف مستر مادن ، وكانت

ظروف المدرسة الى ذلك الحين قد سارت على تولى الإنجليز أمر العمادة ، وعلى الرغم من ذلك ومن بقاء نصف كراسى المجلس مع الأطباء الإنجليز ، فقد اجمعت الآراء على انتخاب على بك ابراهيم عميدا للكلية ، ووفق على نص قرار تقدم به أحد اعضاء المجلس هذا نصه « تقديرا لما أظهره على بك ابراهيم من المقدرة الخارقة للعادة فى إدارة الكلية وتنظيمها فى المدة التى كان فيها وكيلا للعميد واعترافا بالمجهودات العظيمة التى بذلها فى إعادة تنظيم الكلية ، وفى نجاحها المطرد فى العشرين عاما الماضية، رأى المجلس أن مصلحة الكلية والتعليم الطبى فى مصر يقضيان بأن ينتخب عميدا للكلية »، وسرعان ما اعتمدت الرئاسة العليا للجامعة نتيجة الانتخاب وتولى على ابراهيم عمادة الطب .

أحد عشر عاما من العمـــادة :

كان من حسن حظ كلية الطب أن يتولى على ابراهيم أمرها وأن تمتد الفترة التى ظل فيها على رأس هذه الكلية حتى عام أربعين (١٩٤٠) ولم يكن انتخاب على ابراهيم لمنصب العمادة فى (١٩٢٩) حدثا هيناً فى تاريخ الكلية ، إذ كان انتقال عمادة الطب من الأجنبى إلى المصرى فى ذلك الحين أمراً خطيرا تحتاج الكلية فى تعزيزه وتأييده أن تستشفع بالجهود العظيمة التى بذلها ابن البلد فى إعادة تنظيم الكلية طيلة عشرين عاما بدأت منذ وضع قدمه فيها مساعدا لكبير الجراحين سنة تسع (١٩٠٩) .

وعلى الرغم من أن جهود على باشا ابراهيم فى كلية الطب ومستشفياتها غطت كل الجوانب التى ينبغى لمثله أن يعنى بها الا أن أعظم ما حققه صاحبنا هو تمصير هيئة التدريس بكلية الطب ، ولعل أروع ما فى هذا الانجاز هو الطريقة التى أتمه بها على إبراهيم الذى تولى إدارة الكلية وليس بين أساتذتها من المصريين إلا ثلاثة ، ثم تركها وليس بين أساتذتها من الأجانب إلا أربعة ، وقد تم كل هذا من غير اخلال بمستوى التعليم أو بكفاءة المدرسين بل ارتفع مستوى الدراسة ، والسر فى هذا أن على باشا اتخذ سبيلا الى هدفه مقرونا بمنتهى الحكمة اللازمة لمقتضيات التدريس فى ذلك الحين ، فلما عاد طلبة البعثات الناجحون ألحقهم بوظائف التدريس الصغرى يتمرنون فيها تحت ارشاد الأساتذة حتى إذا سنحت الفرصة رقى منهم من ثبتت كفاءته ترقيا تدريجيا بلا طفرة ولا تعجل ، وكان من محاسن التوفيق أن نضوجهم وافق اكتمال مستشفى المنيل الجامعى فلما ضوعف عدد الأقسام وزيد عدد الطلبة الى ضعفيه وجد من الأساتذة المصريين ومن المساعدين الأكفاء من سدوا الفراغ من غير احتياج الى الاستعانة بعناصر أجنبية .

تشجيــع البحوث العلميــة :

وكان على باشا يجعل للبحوث العلمية المقام الأول ، وكان لايفتأ يحض هيئة التدريس على القيام بها ، ويعضد الناجحين

منهم ، ولاشك أنه كان فى ذلك خير قدوة بما كان يقوم هو نفسه به من البحوث الشائقة .

ذلك أن على باشا رغم جهوده فى جميع الميادين ، والمجالات ، وعمله المتواصل الدءوب لم ينقطع عن الدراسة والبحث الجاد المثمر على أرفع المستويات العلمية والفنية ، وقد بقى الدكتور على ابراهيم محافظا على هذا الخلق العلمى الأصيل حتى انتقل إلى رحمة الله .

وكان اهتمام على ابراهيم فى أبحاثه بالموضوعات الجراحية ذات العلاقة بالمجتمع المصرى وأمراضه الخاصة ، ولاتزال هذه الموضوعات إلى اليوم تشغل الجانب الأول فى دراساتنا وبحوثنا الطبية .

على أن الظاهرة التى تستحق الإعجاب والتقدير و الاندهاش ومحاولة الاقتداء هى تلك القدرة الهائلة التى كانت لعلى باشا على صياغة بحوثه فى العربية أو الانجليزية بنفس المستوى من القدرة التعبيرية رفيعة المستوى .

وبالاضافة إلى أن الدكتور على ابراهيم كان يخص المجلة الطبية المصرية بالقدر الأكبر من بحوثه القيمة ، إلا أن القارئ سيلحظ فى الببليوجرافيا أن لعلى باشا موضوعات وحيدة فى كثير من المجلات العالمية ، على سبيل المشاركة الرمزيةمن الجراح العالمى الكبير فى هذه المجلات .

اهتم على ابراهيم ببحث المضاعفات الجراحية للحمى التيفودية وكان أول من بحث باهتمام فى الدوالى الليمفاوية ، وبخاصة دوالى الأوعية الليمفاوية للحبل المنوى وداء الفيل العربى ، والتصريف الليمفاوى .

وعلى صعيد آخر كانت لعلى باشا بحوث هامة فى المسالك البولية ، فى منشأ الحصوات ، وحصوات الحالب ، وبلهارسيا الحالب ، ومشكلة البلهارسيا فى مصر .

وفى مجال ثالث كتب الدكتور عن اورام الجسم السباتى والغدة النكفية والجويتر المتوطن .

وفى مجال رابع عن خراجات الكبد ، وخراجات الكبد الأمبية

وفى مجال خامس عن تضخم الطحال ، وعن وضع المصران الأعور فى البطن .

وفى مجال سادس عن التهاب الصفراء ، وحصوات الحويصلة الصفراوية . وفى مجال سابع عن التقدم الحديث فى علاج الدرن الجراحى . كما أن لعلى باشا مقالا وافيا عن الختان ، هذا فضلا عن بحوثه التى كان يناقش فيها بعض البحوث والعمليات الجراحية المستحدثة :

تقدير الكفـــاءات :

على أن أبرز ما كان فى قيادة على ابراهيم لهذا المجتمع العلمى ما تتناقله الأجيال عنه من بعد نظره فى تقدير الكفاءة التى يمتاز بها

العاملون تحت ادارته ولم يكن – رحمه الله – يدخر وسعا فى تهيئة السبيل أمام من كان يوليهم ثقته حتى أتيح لهؤلاء أن يصلوا برعايته الأبوية إلى المركز الذى يستطيعون فيه أن يخدموا العلم والتعليم بما تأهلوا به من صفات نفذ على باشا إلى معرفة كنهها وتقدير كفايتها ، ومن ثم كان لعلى ابراهيم تلاميذه الذين شقوا برعايته المجال العلمى حتى وصلوا إلى أعلى الدرجات وأرفع المناصب .

بناء قصر العينى الجديـــد :

أما مجهودات على ابراهيم فى مبانى الكلية فقد كانت أكبر أعماله وأكملها ألاوهو الطب،ولا نزاع فى أن كلية طب قصر العينى كلها من إنشاء على ابراهيم ذلك الرجل الذى وضع لاحيائها برنامجا محكما ، ونظاما دقيقا وكان أول ما عنى به صاحبنا أن ينشئ مستشفى حديثا يتسع لألفى سرير بعد أن تبين له أن المستشفى القديم لايصلح لكلية طب من الطراز الأول واستطاع على باشا أن يحصل على الأرض اللازمة لاقامة مشروعه الضخم من الملك فؤاد الأول فحصل على هـــذا الجزء الشمالى من جزيرة الروضة الذى تمتد فوقه الآن كلية الطب ومستشفى المنيل الجامعى وقد وضع الملك فؤاد الأول حجر الأساس للبناء الجديد فى السادس عشر من ديسمبر سنة ثمان وعشرين ١٩٢٨ فى أثناء الاحتفال بانعقاد المؤتمر الدولى لطب المناطق الحارة وعلم الصحة والذى وافق الاحتفال بالعيد المئوى لمدرسة طب قصر العينى وتولى على ابراهيم أمر

قصر العيني وبدأ البناء، وكان ينقصه كل شئ المال والرجال والمعدات ولكن طبيعة الرجل العظيم ساعدته أيما مساعدة في الصبر على المكاره والأذى والجلد في تحقيق هدفه الأسمى، ومازال على ابراهيم يبذل جهده هنا وهناك حتى استطاع أن يقيم هذا الصرح التعليمي الضخم على أقوم ما تكون الإقامة ولم يكن الرجل يلقى في عمله هذا التقدير ولكن الكثيرين ممن لم تكن لهم سعة خياله وبعد نظره قاوموه، وحسبوا عمله إسرافا لا مبرر له، ودعوا إلى إنشاء عدة مستشفيات صغيرة ولكنهم نسوا كما قال أستاذنا الدكتور كامل حسين أن تعلم الطب وتقدمه يحتاجان إلى مؤسسات هائلة ومعدات لا تستطيعها المستشفيات الصغيرة، ولو نجحوا، في مقاومتهم له لأصبحت كلية الطب غير قادرة على مجاراة غيرها من الكليات الدولية الأخرى ذلك أن هذا الذى بناه على ابراهيم ليس مستشفى فحسب، ولكنه بمثابة محكمة عليا للحالات التي يصعب على المستشفيات الصغرى أن تتولاها، وهو بهذا يؤدى خدمة كبرى لا غنى عنها ان أردنا للتعليم الطبي في مصر رقيا مطردا.

المعامـــل :

ثم ان على ابراهيم التفت بعد بناء هذا القصر العظيم الى معامل الكلية فجهزها وطورها وجعلها في حالة تقبل التطوير في المستقبل، وعنى رحمه الله بكل صغيرة وكبيرة من أمر هذه المعامل حتى صارت نتائجها مثلا يحتذى في الدقة والمهارة والسرعة والإتقان.

المتاحف :

وأقبل على ابراهيم على قاعات الدرس ومتاحف الكلية فبعث فيها روح التجديد والكمال والنظام ، وأتاح مسايرة العصر ومضارعة أحدث المؤسسات العلمية على — المستوى الدولى ، والحق أن متاحف قصر العينى لو جمعت فى مكان واحد لألفت مجموعة من أكبر وأهم مجموعات المتاحف فى العالم أجمع .

وعند ذكر متاحف الكلية يجمل بنا أن ننقل هنا فقرات للمغفور له الدكتور أحمد عبد النبى يحدثنا فيها عن موقف حدث له فى العشرينات حين ذهب يوم جمعة الى الكلية للاستذكار مع زميليه الدكتور عبد الله الكاتب ووديع دمترى ، يقول : فراعنا أن رأينا مناديا ينادى على باب الكلية يقرع جرسه وينادى ببيع مجموعة من نماذج الجبس تمثل مختلف الأمراض بالمزاد العلنى وكنا نسمع من أساتذتنا أنها مجموعة نادرة وأن مثيلاتها فى العالم قليل فقر رأى ثلاثتنا على الحيلولة دون ضياعها . ودخلنا المزاد ونحن طلبة لا يملك الواحد منا دراهم معدودة . ورست علينا تلك التحفة النادرة بمبلغ مائة وخمسين جنيها ، حتم علينا أن ندفع منها عشرة فى المائة فى الحال فجمعناها من بعضنا بمساعدة المرحوم / خليل أفندى عبدالخالق ضابط المدرسة وجلسنا مغتبطين نفكر فيما عسانا أن نفعل فى تدبير باقى المبلغ فهدانا التفكير إلى الاستعانة بأستاذنا على باشا ابراهيم . وقابلناه بعيادته وبثثناه شكوانا وكان الوقت وقت الغذاء . فهنأنا وطمأننا

قائلا : « ستحتفظون بهذه المجموعة وستبقى لكم لا ينازعكم فيها أحد » وقام من فوره وقابل معالى وزير المعارف العمومية فى ذلك الحين الذى تعطف فأوقف البيع وقدم المجموعة هدية لنادى طلبة الطب » .

الدراسات العليا :

وكان على باشا كما قدمنا حفيا بالدراسات العليا فى كل فرع من فروع العلم وفى كل تخصص من تخصصات الطب، ولعل البعثات العلمية لم تبلغ فى يوم من الأيام القدر الذى وصلت إليه فى عهد على ابراهيم ، ثم ان صاحبنا لم يكتف بإرسال البعثات ولكنه أنشأ مستوى رفيعا للدراسات العليا فى قصر العينى نفسه كذلك ما لبثت كلية طب القاهرة أن فتحت الدرجات العلمية العليا لأبنائها ، ويومئذ كان على باشا ابراهيم أول من منحت الجامعة المصرية درجتى الماجستير والدكتوراه » الشرفيتين فى الطب سنة ثلاثين (١٩٣٠) .

موهبة الادارة :

وقد تجلت مقدرة على باشا ابراهيم فى إدارة المجلس الخاص بالكلية بما أظهره من حصافة وبعد نظر ، ومقدرة ممتازة فى التوفيق بين عناصر المجلس المتباينة ، وقد جعل رحمه الله من المجلس كما قال أستاذنا الدكتور نجيب محفوظ (وأداة لهيئة الناشئين من الأعضاء فقد كان يأنس بآرائهم وبمناقشاتهم ، ولم يكن يقرر خطة

فى الأمور الهامة إلابعد تفكير عميق ، فإذا لم تصادف آراؤه موافقة المجلس فلا يفارقه حلمه مهما اشتدت الحملة على رأيه ، ولكنه وهو السياسى الحاذق كان يعمد إلى الأساليب الدبلوماسية التى له فيها القدح المعلى فينتحى طريقا وسطا بينه وبين معارضيه ، ثم يهاجم بعد ذلك نقط الضعف فى آرائهم بقوة حجته وسرعة بديهته وكثيرا ما كانت نكته من نكاته الحاضرة سببا فى تصفية جو مفعم بالحدة ، فتئول المناقشات الحادة إلى حوار هادئ منتج ، يظفر منه فى كثير من الأحوال بكل مايريد » ..

الاعتراف الانجليزى :

ولم يترك على باشا ابراهيم عمادة كلية الطب إلا بعد أن نهض بها إلى مكانة مرموقة على المستوى الدولى حتى أصبحت من أكبر مدارس الطب فى العالم وأعلاها مستوى وأبعدها شهرة ، وأصبحت كلمة « قصرالعينى » مفتاحا سحريا لكثير من الأبواب الطبية العالمية ويروى الدكتور عبد الرازق السنهورى أن على ابراهيم كان يعتبر اليوم الذى حصل فيه على اعتراف انجلترا ببكالوريوس الطب المصرى من أسعد أيامه .

على باشا والسياسة :

على أن العوامل السياسية قد أثرت فى مجهودات على باشا إبراهيم سلبا أو إيجابا ، فلم يكن طريق على ابراهيم فى أغلب الأحيان

سهلا ممهدا ولا خاليا من العثرات أو العقبات ، ولعل أصعب هذه العقبات على نفس الوطنى المصلح ما يلقاه من عنت المسئولين فى الحكومات المتعاقبة ، وعدم التفاهم إلى رعاية المستقبل العلمى لمثل هذا المعهد العريق ، وكثيرا ما كانوا يطلبون إلى على إبراهيم تنفيذ بعض التعليمات التى كان صاحبنا يراها على حقيقتها ، ويعرف البواعث إليها ، ويقدر مدى الضرر الذى سيلحق بالتعليم والعلم إذا مااستجاب لها ، ولم يكن على باشا عندئذ يوارى فى الحق أو يدارى على الباطل وإنما كانت إرادته الصلبة تتجلى فى قوة لا تعرف الهوادة ، وكان يضع روحه على يده ، ومنصبه على اليد الأخرى دون خوف أو وجل من أجل مايراه حقا وواجبا .

أما الناحية الإيجابية فإنه لولا النفوذ الشخصى الذى تمتع به على باشا لدى السراى والحكومات المتعاقبة والسياسيين على اختلاف مشاربهم لما استطاع أن يمضى فى إصلاحاته وإنجازاته بالسرعة التى مضى بها.

لو لم يكن على ابراهيم :

ويحسن بنا عند تقدير فضل على ابراهيم على كلية الطب أن نفترض فرضا لم يقع ، فلو قدر لكلية الطب أن يكون عميدها ممن لا يعنون الا بما فيه فائدة عاجلة ، أو ممن ليس لهم الأفق الواسع الذى كان لعلى باشا لظلت كلية الطب مجرد مدرسة صغيرة تعد طائفة من حاملى الشهادات الذين يمتهنون مهنة مقصورة عليهم بحكم الشهادة ومستشفى لا يتميز على سائر المستشفيات الا بانتسابه بحكم الموقع إلى مدرسة الطب .

قبل على ابراهيم :

كما يحسن بنا أن نعود بالنظر إلى ماقبل توليه العمادة « حين كانت العيادة الخارجية مؤلفة من بضع غرف مظلمة ، تحيط بسرداب معتم ؛ وضعت فيه بعض مقاعد المرضى ، وكان المرضى يحشرون فى هذا السرداب حشراً يجعل مرور الأطباء الى أقسام المستشفى مهمة شاقة يعملون لها ألف حساب كل صباح ، حتى إذا وصلوا إلى أقسامهم علقوا ملابسهم الخارجية على مسامير مدقوقة فى الحائط بحيث تصبح مرتعا لما يصل إليها من ملابس المرضى من ضيوف الحشرات ، وكانت هذه الحال سببا فى اصابة عدد لا يستهان به من أطباء المستشفى بالتيفوس وغيره من الأمراض » والعبارات بقلم استاذنا الدكتور نجيب محفوظ باشا .

« أما عنابر المستشفى فكانت تكتظ بالمرضى الذين كانوا يكدسون فيها تكديساً هو أخطر ما يكون من الناحية الصحية لولا ما أظهرته الممرضات من التفانى فى المحافظة على المستوى الصحى ، وكانت دار المدرسة ضائقة بطلابها وبالأساتذة ، وكان هؤلاء ضائقين بها لعدم كفاية استعداداتها للتدريس والتمرين » .

طب الأسنان :

وفى الأثناء التى تولى فيها على ابراهيم أمر كلية الطب سواء فى موقع الوكالة أو العمادة لم يأل — غفر الله له — جهداً فى النهوض الصادق بالشقيقتين الصغيرتين طب الاسنان والصيدلة ، وقد كانت مدرسة

طب الأسنان منذ أن أنشئت عام (١٩٢٥) تابعة لوزارة المعارف ، ثم ضمت الى كلية الطب سنة سبع وعشرين (١٩٢٧) وعلى ابراهيم وقتئذ وكيل الكلية فأولاها رعايته وحباها بالكثير من نشاطه وعنايته ، وسار بها فى مدارج الرقى بخطوات واسعة فلم يتقدم العهد به فى عمادته للكلية بضع سنوات إلا وكانت مدرسة طب الاسنان قد شبت عن الطوق وبلغت غاية الكمال ، وأصبحت من أرقى المعاهد فى تخصصها كما أصبحت المصدر الأول لتزويد الوطن بأصحاب هذه المهنة .

النهوض بالصيدلة :

أما مدرسة الصيدلة فكانت قد وصلت إلى درجة من الاهمال انعدم معه كيانها أو كاد، فما إن تولى على باشا ابراهيم إدارة المدرسة حتى أخذ فى تنظيم برامج الدراسة فيها واعداد الأساتذة الاخصائيين لكل مادة ، فأكثر من البعثات العلمية حتى بلغت اثنتى عشرة بعثة فى مختلف علوم الصيدلة وساعد على استكمال أدوات المعامل وأجهزتها ، وسعى جهد طاقته إلى أن وفق فى إقامة مبنى خاص لمدرسة الصيدلة تجمعت فيه جميع أقسامها وألحق بالمدرسة متحفا للعقاقير والمواد الطبية المختلفة ، وحديقة للنباتات الطبية لتسهيل دراستها والتعرف على طرق زراعتها ، ثم أنشأ الدرجات العلمية لخريجى الصيدلة تشجيعاً لهم على البحث العلمى والاقبال عليه والاستزادة منه ، ولم يكن ذلك كل فضله على هؤلاء الخريجين ولكنه ساهم معهم بأكبر قسط فى تأسيس الجمعية الصيدلية المصرية سنة ثلاثين (١٩٣٠) لتكون — وقد كانت بالفعل — بمثابة مجمع علمى

لهم ، يتبادلون فيه أبحاثهم وآراءهم فى شئونهم العلمية والفنية ، ثم بذل جهده فى تكوين مكتبة للجمعية ولصيادلتها تضم الدوريات العلمية الدولية فى علومهم المختلفة وأعانهم خير عون على اصدار المجلة الصيدلية ، وقد قابل الصيادلة جهود على باشا ابراهيم معهم بالعرفان والتقدير فمنحوه الرئاسة الفخرية لجمعيتهم .

مهنة الصيدلة :

وهكذا لم تبلغ مدرسة الصيدلة حد النجاح فحسب ، وإنما بلغت الحد الذى جعلها تضع حداً أقصى لعدد طلبتها وتحرص على اختيار الأكفاء من المتقدمين اليها من كل فج عميق ، ثم استصدر على باشا من القائمين على أمر الصحة تشريعاً لايسمح بمزاولة المهنة لخريجى الجامعات الاجنبية الا لمن أثبت جدارة تسمح له بمنافسة خريجى مدرسة الصيدلة المصرية فى معاشهم وحياتهم العملية فارتفع بهذا مستوى الصيدلة فى القطر المصرى كما ارتفع مستوى مهنة الطب من قبل على يد جراحنا الهمام .

توثيق العلاقات العربية :

وقد استأنف على باشا ابراهيم فى كلية الطب ما بدأه من قبل ومن بعد فى توثيق العلاقات الطبية العربية ، فمهد الطريق لخريجى الطب فى معهدى دمشق وبغداد إلى دخول امتحان ممارسة المهنة والانتظام فى تلك الدراسات العليا فى قصر العينى .

خليفة لطفى السيد :

وكان نظام الجامعة المصرية فى أول عهدها يقضى بأن يتولى منصب وكيل الجامعة واحد من عمداء الكليات بالإضافة إلى العمادة ، وكان على باشا ابراهيم هذا العميد الذى تولى منصب وكالة الجامعة منذ ١٩٢٩ ، وكان مدير الجامعة فى هذه الفترة هو الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل ، وقد تحقق للجامعة المصرية خير أجواء البحث والعلم والابداع والمشاركة الاجتماعية فى ظل هـذين الرجلين بعقليهما الراجحين ، وحكمتهما السديدة ، وخبرتهما الطويلة ونفوذهما الواسع وعملهما الدءوب وتعاونهما المثمر .

وكثيرا ماكان لطفى باشا السيد بحكم انتمائه للحزبية وعمله السياسى يبتعد عن الجامعة بعض الشئ للاشتراك فى الوزارة أو العمل السياسى ، وكان على باشا ابراهيم حينئذ يتولى أمر الجامعة بأكمله فى حزم واقتدار .

مشـــروع القرش :

وفى أثناء الفترة التى تولى فيها على باشا ابراهيم عمادة الطب ووكالة الجامعة ، شارك الرجل بنفسه وبمنصبه مشاركة فعالة فى كافة الأنشطة الوطنية فى شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والشبابية ، ففى أواخر سنة واحد وثلاثين ١٩٣١ بدأت مجموعة من الشباب الوطنيين « مشروع القرش » وذهبوا يستعينون بعلية القوم فلم يجدوا صدرا أحن من

صدر على ابراهيم ، الذى احتضنهم ، وشجعهم أيما تشجيع ، وفى العام التالى تأسست جمعية القرش تحت رئاسة على ابراهيم ، وفى العام الثالث سنة ثلاث وثلاثين (١٩٣٣) حمل على باشا عبء الاشراف على مؤسسات الجمعية التى اتسع نشاطها ، واستطاعت أن تقيم مصنعى القرش للطرابيش وغزل الصوف ، ولم يكن الحجم الحقيقى لنشأة الجمعية يكمن فى إقامة هذه المصانع فحسب ، ولكنه كان يعبر تعبيرا صادقا عن رغبة الشعب المصرى فى أن تكون له صناعاته الوطنية ، وأن يدعم بالاستقلال الاقتصادى سعيه إلى الاستقلال السياسى ، وليس من شك أن على ابراهيم بتكوينه وأعماله وشخصيته وسلوكه كان أول المؤمنين بمثل هذا المفهوم ومن ثم تلاقت رغبات الشباب فى نفوس طلاب الجامعة ، بالروح المتوثبة فى نفسية على باشا ابراهيم الذى لم يبخل على مشروع القرش بأى شئ ، حتى انه خصص طابقا من عيادته ليكون مقراً لجمعية القرش ، إلى أن تمكنت الجمعية من تدبير مقرها الدائم .

وأنا شيخ الشحاذين :

وفيما كانت الجمعية فى أول عهدها بالنشاط ، ذهب بعض الشباب إلى على باشا ابراهيم متبرمين ، وقد استنكفوا أن يمروا بالطوابع على الناس ليجمعوا القرش ، كأنهم من الشحاذين ، وهنا لم ير على ابراهيم بأسا من أن يبين لابنائه طبيعة العمل الاجتماعى ثم ختم حديثه اليهم بقوله « .. وأنا شيخ الشحاذين » فانصرف الشباب من عنده وهم أكثر مايكونون حماسا لمشروعهم .

فى الخدمـــة الاجتماعية :

ولم يكن مشروع القرش فى واقع الأمر إلا حلقة من الحلقات فى سلسلة الجهود الاجتماعية التى بذلها على ابراهيم فى كثير من الجمعيات والهيئات ، وقد كانت جهوده فى المجال الاجتماعى تغطى مجالين : الأول هو المجال الاجتماعى المتصـــل بالطب كأنشطته فى الجمعية الخيرية الاسلامية ، وجمعية ذكرى كتشنر ، وجمعية الهلال الأحمر ، وجمعية الاسعاف ، وجمعية المواساة الاسلامية بالاسكندرية ، والمجال الثانى وهو المجال الاجتماعى العام ، وقد تقدم جراحنا الكبير للخدمة الاجتماعية العامة معتمدا على معارفه التى امتزجت على حد تعبير الدكتور زكى عبد المتعال فتولدت عنده المقدرة ، (ولا بد من اصطحاب المقدرة فى الطموح للمثل العليا ــ لا كمجرد ظاهرة عاطفية بل باعتبارها حقيقة واقعة . فاستمد المقدرة والطموح من مواهبه ، باذلا من نفسه ، منكرا ذاته ، مضحيا فى سبيل الجماعة حتى أصبح سائر مؤدى عمله ، القيام بواجبه)

مشروع القرى ومحو أمية أربعين ألفا :

وفى سنة ثلاث وثلاثين (١٩٣٣) بدأ مشروع « القرى » نشاطه برعاية الدكتور على ابراهيم باشا وتحت رئاسته ، وكان من أبرز معاونيه فى هذا المشروع العلامة الكبير محمد فريد وجدى ، والشيخ عبد الوهاب النجار والدكتور على مصطفى مشرفة والدكتور محمد مظهر سعيد وكان هدف المشرع هو (انتشال القرية المصرية من بؤسها الحاضر) ووضعوا

برنامج المشروع على أساس النهوض بالقرية فى • خمسة مجالات ، الأول : نشر التعليم (بتعليم الفرد مبادئ القراءة والكتابة والحساب) والثانى : نشر التعاليم الصحية (بالعناية بالمسكن ومياه الشرب والتغذية والنظافة وصحة الطفل والوقاية من الحشرات ... الخ) والثالث : التعاليم الاجتماعية (بإضفاء الناحية الجمالية على القرية ، والحد من هجرة أهل الريف إلى المدن والقضاء على المشاحنات بين القرويين ، ومكافحة العيوب الاجتماعية ، وبث الاعتقاد فى أهمية مصر من الناحية الزراعية وأهمية فلاحيها ، وتزويد الفلاحين بمعلومات تاريخية عن مصر ومجدها القديم) والرابع فى التعاليم الاقتصادية (بتوجيه الفلاح إلى الوسائل المثلى فى تدبير الدخل ، وتشجيع المصنوعات الوطنية ، وترقية المصنوعات القروية والمحلية) والخامس : فى التعاليم الزراعية (بنشر روح التعاون الزراعى ، وتنويع الزراعات .. الخ) وقد اتخذ مشروع القرى هذا الأسلوب العلمى لتحقيق أهدافه . فأبان عن خطته بالتفصيل فى كتيب زود به جنوده فى الاصلاح ، وحدد الخطط التنفيذية لتحقيق أهدافه النظرية على نحو واضح ودقيق ووضع منهجا مبرمجا فى سبيل محو الأمية ، وحرص على أن يجرى فى نهاية العام تقييما للقرى التى تولى أمر إصلاحها ، وأن يفاضل بينها فى كل مجال من مجالات النشاط ، وهكذا استطاع مشروع القرى أن يخطو خطوات واسعة إلى الأمام فى سبيل تحقيق هدفه واستطاع أن يمحو فى عامه الأول فقط أمية أربعين ألفاً من أهل الريف .

فى مجلس الاذاعة :

وحين أنشئت الاذاعة المصرية سنة أربع وثلاثين (١٩٣٤) ، وأطلق عليها اسم « الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية » اختير الدكتور على ابراهيم عضوا فى مجلسها الأعلى ، وترأس لجنة البرامج ، فوجه الاذاعة توجيها صادقا نحو الأغراض السامية وترك من بصماته مما زال باقيا إلى اليوم ، أوقل إنه ترك من البصمات خير ما فى الإذاعة اليوم ، اذ أفسح على باشا المجال لمشاهير قراء القرآن الكريم ، وجعل أكبر همه المحافظة على تراث الموسيقى والأغانى وخصص من الخريطة الاذاعية جزءاً كبيراً للمحاضرات الثقافية والأحاديث العامة فى شتى المجالاتِ لسائر طبقات الشعب ، على أن أعظم ما استطاع على باشا تحقيقه فى هذا الشأن مساهمته بالابتعاد بالاذاعة عن معترك السياسة الحزبية ، وتوجيهه لها شطر إحياء المشاعر القومية .

المجمع المصرى للثقافة العلمية :

وفى سنة ١٩٣٠ شارك الدكتور على باشا ابراهيم مع صفوة من قادة الفكر والعلم والأدب فى مصر فى تأسيس المجمع المصرى للثقافة العلمية ، واختار هؤلاء على باشا رئيسا للمجمع فى الدورة الأولى ، وألقى فى هذه الدورة خطاب الرئاسة عن (الثقافة العلمية وأثرها فى الصحة العامة) وأعيد انتخاب الدكتور على ابراهيم رئيسا للمجمع فى دورته السادسة سنة ١٩٣٥ ، وكانت كلمته فى هذه — المرة عن

(السجاد) وفيما بين ذلك وفيما بعد ذلك إلى أن توفاه الله ساهم عالمنا الجليل بجهد ضخم فى نجاح هذا المجمع ، وتوطيد أسسه مما مكن المجمع من الاستمرار فى أداء رسالته حتى يومناهذا .

مجلس البحوث :

ولما أنشئ المجلس الأعلى للبحوث سنة ست وثلاثين (١٩٣٦) من أساطين العلم والصناعة والاقتصاد اختير الدكتور على ابراهيم عضوا فيه ، وقد سمى هذا المجلس فيما بعد بمجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث ، ونشأت بالتبعية له مراكز البحوث القومية ، ولاشك أن مجلس البحوث قد أفاد بآراء جراحنا الكبير وخبراته وخلفياته العلمية والإداريـــة .

فى رئاسة الهلال الأحمر :

وفى سنة (١٩٣٦) أيضا اختير الدكتور على ابراهيم باشا رئيسا لجمعية الهلال الأحمر وبعد وفاة الدكتور جاهين باشا وهى الجمعية التى أعطاها صاحبنا جهده المستمر منذ انشائها سنة أربع عشرة (١٩١٤) بل منذ نشأتها الأولى سنة اثنتى عشرة (١٩١٢) وفى أثناء حرب البلقان ونهض على باشا بجمعية الهلال الأحمر لمدة رئاسته نهوضا مذهلا اذ استطاع أن ينشئ مستشفى جراحة العظام ذلك المبنى العربى الضخم فى شارع رمسيس الذى احتل بفضله مكانة مرموقة بين المستشفيات التخصصية فى العالم ، بل لقد صار هذا المستشفى بفضل تشجيع على

ابراهيم معهدا عاليا لجراحة العظام والاصابات فى مصر ، وفى صعيد آخر شجع على باشا ابراهيم سيدات الطبقة الراقية على المشاركة فى أعمال جمعية الهلال الأحمر بالوقت والمال ، فأتاح لهن وأتاح للجمعية بهن قدرا كبيرا من أعمال البر والاحسان حتى أدهشت سيدات الهلال الأحمر القوم بما بذلته من جهد وتضحية وإيثار فى كفاح بعوض الجامبيار والحمى الراجعة وإغاثة عشرات الألوف من المرزئين بهذه الأوبئة التى اجتاحت بلادنا العزيزة فى فترات متعاقبة .

وكان على باشا ابراهيم يتخذ من جمعية الهلال الاحمر سبيلا إلى نشر الثقافة الطبية بين الشباب والمثقفين ، وبخاصة قواعد الاسعافات الأولية ، وهو المنهج الذى لاتزال الجمعية حتى يومنا هذا توجه جزءاً كبيرا من جهدها اليه ، وكذلك كان على باشا ابراهيم يعنى بأن تكون جمعية الهلال الأحمر مدرسة رفيعة المستوى فى تخريج الممرضات الجديرات ، وحين ترك على باشا ابراهيم رئاسة الجمعية لانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، كانت أموالها قد تضاعفت فى هذه السنوات العشر إلى أكثر من عشرة أضعاف .

مستشفى العجوزة :

أما مستشفى العجوزة ذلك الصرح الضخم الذى يطل على نيل القاهرة فقد أشرف على باشا على بنائه وتجهيزه حتى صار إلى تلك الصورة التى هو عليها من الشموخ والجمال والعظمة ، وقد كان

على باشا ابراهيم منذ سنة أربع وعشرين (١٩٢٤) عضوا فى مجلس إدارة الجمعية الخيرية الاسلامية التى أنشأت هذا المستشفى .

وكان الدكتور على ابراهيم ينوى أن يتخذ لنفسه فى مستشفى العجوزة جناحا خاصا يجرى فيه عملياته ، ذلك أنه ظل من دون مستشفى خاص به وإن كان هو أول من سن سنة العيادات الخاصة ، وكان يجرى الكشف على مرضاه فى عيادته الشهيرة بالصنافيرى ، ويجرى لهم العمليات الجراحية فى المستشفى الاسرائيلى ، ولكن الأجل لم يطل بعلى ابراهيم ليشهد مستشفى العجوزة أمجاده .

الاتحاد الملكى للجمعيات :

وفى أوائل الثلاثينات استطاع على باشا ابراهيم أن يجمع بين الجمعيات الطبية المتعددة التى اقتضاها نمو التخصص فى مشروع الطب ، والتى شجع هو نفسه على انشائها ثم استطاع أن يحصل على موافقة الملك فؤاد على إنشاء الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية مشمولا بالرعاية الملكية وصدر بهذا المعنى مرسوم ملكى فى الثالث عشر من يوليو سنة ١٩٣٣ وكان من أهم أغراض هذا الاتحاد إنشاء رابطة تضامن علمية وأدبية بين الجمعيات الطبية المصرية وتوحيد جهودها فى سبيل تحقيق الصالح المشترك وتنمية روح الاخاء بين الأطباء فى مهنتهم ، والمحافظة على المستوى الأدبى لهيئاتهم وسمعتهم والسهر على مصالح المهنة ... الخ من الأغراض النقابية ، وتولى على ابراهيم باشا رئاسة هذا الاتحاد ، والحق

أن هذا الاتحاد كان الخطوة الأولى إلى إنشاء نقابة الأطباء ، وقد كان للدكتور على باشا الفضل فى إنشاء النقابة أيضا .

انشاء النقابة :

حتى اذا تولى على باشا إبراهيم أمر وزارة الصحة تعهد مشروع نقابة الأطباء بالرعاية ، وأضاف اليه كثيرا من التعديلات التى أوحت اليه بها خبرته الطويلة ومعرفته الصائبة لطبائع الأمور والاجراءات ، وحرص كل الحرص على أن يتوخى كرامة المهنة ، وكرامة صاحب المهنة ، واستطاع على ابراهيم أن يصدر قانون نقابة الاطباء محققا الأمل الذى طالما عاش فى نفوس أبناء المهنة من الارتفاع بمهنتهم السامية إلى مقامها الأدبى الرفيع فضلا عن تولى الأطباء زمام أمورهم إذ أصبح مجلس النقابة المرجع الأولى فى كل ما يتعلق بممارسة المهنة .

أول نقيب ..

هذا وقد كان الدكتور على باشا ابراهيم أيضا أول من انتخب نقيباً للأطباء وهكذا أتيح لمجلس النقابة أن يرأسه رجل مستنير مثل على باشا يوجهه التوجيه الحسن نحو كل ما من شأنه أن يصون كرامة المهنة والأطباء ، ويهديه فى اختطاط السبيل نحو التقاليد النقابية الراسخة التى لم يكن للاطباء عهد بها حتى ذلك الحين ، والحق أن على باشا سار بالنقابة شوطا بعيدا فى توجيه السلطة التى منحها له القانون التوجيه السديد ، فأصبحت هذه السلطة أمرا واقعا وواقعا قويا كما أنها مكنت

النقابة بالفعل طيلة عمرها من أن تواجه المواقف المهنية وقد ملكت فى يدها زمام الأمور ..

اتحاد المهن الطبية :

وحين أنشئ اتحاد المهن الطبية لأول مرة سنة ١٩٤٠ فى عهد وزارة على ابراهيم تحت اسم « النقابة العليا الطبية » انتخب على باشا ابراهيم أول رئيس لهذا الاتحاد الذى يضم أطباء الأسنان والصيادلة والأطباء البيطريين إلى الأطباء البشريين .

على أن المجهودات النقابية التى قام بها على ابراهيم قد سبقت توليه المناصب بزمن بعيد ولعل أبرز جهوده فى هذا المجال ماكان فى العشر الثانية من هذا القرن حين سعى الى اصدار القانون الخاص بتعاطى صناعة الطب فى مصر ، وكان هناك مشروع قانون شديد الاجحاف بالأطباء المصريين قدمه المستر « جودمان » فبذل على ابراهيم مساعى كبيرة حتى تمكن من إقناع رشدى باشا بايقاف صدوره فوافق له على طلبه ، ولما تولى طلعت باشا وكالة وزارة الداخلية للشئون الصحية رأى على ابراهيم أن الفرصة سانحة لاعداد قانون جديد ، وسعى لدى الرجل فى ذلك ، وأوعز إليه بتأليف لجنة لاصدار القانون ، وسارع طلعت باشا إلى تشكيل اللجنة من الدكاترة على ابراهيم وأحمد حلمى وهاستنجز والمستر رينشارد ، وما إن انتهت اللجنة من صياغة القانون حتى أقرته الحكومة وصار العمل به .

كذلك كان على ابراهيم بوجوده على رأس الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية حفيا بأكثر من موضوع من الموضوعات التى تتعلق بالمهنة الطبية ، كإعلان الطبيب عن نفسه ، وإنشاء صندوق لمساعدة الأطباء الذين يقعدهم المرض أو الشيخوخة عن الكسب (التأمين ضد العجز والشيخوخة) وهما الموضوعان اللذان ناقشهما المؤتمر الأول للاتحاد ، ثم ناقش الاتحاد فى مؤتمراته التالية عدة موضوعات من أبرزها سن التشريع للأدوية المجهزة واستعمالها ، والتوصيف القانونى لمهنة الطبيب وحقوقه وواجباته وموضوع الغذاء الشعبى ونقص الأدوية إبان الحرب ولا شك كان للدكتور على ابراهيم النصيب الأوفر فى اختيار هذه الموضوعات هذا الاختيار الموفق صادراً فى ذلك عن ايمانه بضرورة الاتصال بين الطب والحياة العامة .

فى الوزارة مع حسن صبرى :

وفى منتصف سنة (١٩٤٠) كان هتلر قد تقدم فى زحفه على أوربا الى حد رهيب ، وتزعزعت ثقة بريطانيا فى نفسها ، وكان على ماهر يتولى رئاسة وزارة ائتلافية فى مصر ، ولم تكن الحكومة الإنجليزية تطمئن الى خباياه وكانت تظن به ميلا الى الألمان ، ووجه السفير البريطانى انذاراً إلى الملك بابعاد على ماهر ، واجتمع أقطاب السياسة بدعوة من الملك لمناقشة الأمر ، واستقر الرأى على أن يتقدم رئيس الوزارة باستقالته وكلف الملك حسن صبرى باشا بتشكيل وزارة جديدة فشكلها فى السابع والعشرين من يونيو سنة أربعين (١٩٤٠)

واختير الدكتور على ابراهيم وزيرا للصحة العمومية فى هذه الوزارة وزامل جراحنا الكبير فى هذه الوزارة كلا من الدكتور هيكل (المعارف) والامام الأكبر مصطفى عبد الرازق (الاوقاف) وابراهيم عبد الهادى (التجارة والصناعة) وحسين سرى (الأشغال) وحافظ رمضان (الشئون الاجتماعية) ؛ النقراشى (الداخلية) حلمى عيسى (العدل) وغيرهم .

ومع حسين سرى :

وفى الثانى من سبتمبر سنة أربعين (١٩٤٠) أجرى تعديل فى تأليف الوزارة وبقى على ابراهيم ، ثم مات حسن صبرى باشا فجأة فى البرلمان وهو يلقى خطاب العرش فى الرابع عشر من نوفمبر سنة أربعين (١٩٤٠) ، وقع من طوله فحمل إلى غرفة جانبية وهرع اليه وزير صحته على ابراهيم وخرج من لدنه ليعلن للملك ولزملائه وللنواب رحيل الرجل الذى أنعم عليه بالوشاح الأكبر فى صبيحة ذلك اليوم وعهد الملك إلى حسين سرى باشا برئاسة الوزارة فشكلها وبقى على إبراهيم وزيرا للصحة ، وأصاب هذه الوزارة عدد من التعديلات بقى عليها على ابراهيم فى منصبه .

فلما شكل حسين سرى وزارته الثانية فى الحادى والثلاثين من يوليو سنة إحدى وأربعين (١٩٤١) ودخلها السعديون ، وقلت نسبة المستقلين فى الوزارة ترك على باشا ابراهيم وزارة الصحة .

تنسيق الوزارة الفنية :

وعلى الرغم من أن جراحنا الأكبر لم يقض فى منصب الوزارة أكثر من ثلاثة عشر شهراً فى فترة حرب حرجة فقد كان عهده فى الوزارة وعهدها به لامعا مزدهرا ، ولم يكد صاحبنا يتولى أمر وزارة الصحة العمومية — التى لم يكن لها من العمر أكثر من ٤ سنوات حتى نظمها وقسمها إلى مصالح متكاملة تضم كل منها الأقسام المتجانسة فى نوع عملها ، فجعل من الوزارة وحدة كاملة التنسيق من غير تشعيب ولا تشتيت ، ثم ألف لجانا مختلفة على أعلى المستويات الفنية والادارية لبحث المسائل الصحية مسألة مسألة ، ولم يكن غرضه من هذه اللجان تمويت المسائل وتجميد الحلول ولكنه كان يمدها بثاقب رأيه وخبرته ويشاركها أعمالها ويستفيد أقصى استفادة من النتائج والتوصيات التى تنتهى اليها وهكذا استطاع أن يحل المشكلات والمعضلات وينظم الأمور الروتينية بروح الجماعة والأسلوب العلمى ، وقد ظلت تقارير هذه اللجان لفترة طويلة مرجعا دقيقا فى الأمور التى تناولتها :

صحة الفقراء :

وكان على باشا ابراهيم يوجه عناية خاصة إلى صحة العمال والفلاحين والطوائف الكادحة ، فعمل على وضع مشروع قانون للتأمين الصحى الاجبارى للعمال ضد الأمراض وأنشأ فى وزارة الصحة مصلحة للصحة الاجتماعية جمع فيها أقسام رعاية الطفل والأمومة والأمراض الصدرية

والأمراض التناسلية ، ومكافحة المخدرات والمسكرات والدعاية الصحية كما أنشأ قسما لرعاية العمال ، وشكل لجنة للبحث فى تنظيم العلاقة بين نشاط هذا القسم ، والأنشطة المماثلة فى الوزارات الأخرى ، واهتم اهتماما خاصا بمسألة مياه الشرب ، وتوسيع قاعدة المستفيدين منها لإيمانه العميق بأهميتها من الناحية الصحية وعنى ببحث مشكلة المياه الجوفية وآثارها على صحة الفلاحين .

مجلس استشارى :

وكان لوزارة الصحة كغيرها من الوزارات والمصالح مجلس استشارى لا يباشر مهامه ولا مسئولياته ، فأعاد على باشا ابراهيم تأليفه برئاسته وكان يدعوه للانعقاد من آن لآخر ويعرض عليه السياسة العامة للوزارة وتقارير اللجان المختلفة .

الدستور المصرى للأدوية :

وفى عهد الدكتور على ابراهيم صدر الدستور المصرى للأدوية ، وهو الدستور الذى بذلت جمعية الصيدلة بتوجيه جهدها فى إصداره تنظيما لفن العلاج ، ولإنهاء لحالة من الفوضى سادت تحضير الدواء فى مصر بسبب رجوع الصيادلة إلى مختلف ـ الدساتير الأجنبية المتباينة فى أصولها ، وقضاء على أمر آخر لا يقل خطورة ، وهو تلاعب أصحاب الصيدليات بصحة الجمهور .

صناعة الدواء :

وقد ساعد على إبراهيم فى إنشاء صناعة الدواء المصرى خير مساعدة ، ودفع بمشروع إنشاء شركة مصر للمستحضرات الطبية حتى خرج إلى حيز التنفيذ ، ويروى على بك الكردانى أن الفضل الأكبر فى هذا المجال يعود إلى جراحنا الكبير ، وإلى الدكتور حافظ عفيفى رئيس بنك مصر .

الاعلام الصحى :

وكان على باشا مؤمنا بأهمية الدعاية الصحية ، ولعله كان من السباقين إلى هذا الايمان ؛ فحشد الشباب الجامعى لبث المبادئ الصحية وكفاح العادات الخاطئة والخرافات وأرسل اعضاء رابطة الدعاية الصحية فى الأحياء الوطنية لتبصير الجماهير بما يدفع عنها غوائل الأوبئـــة والأمـــراض :

رفع المستويات الفنية والمادية :

وكان على باشا ابراهيم مهتما بصفة خاصة بأمر الموظفين وكوادرهم فرفع درجات الأطباء والفنيين ، ورسم أكثر من تطوير للهياكل الوظيفية وعمل على زيادة الأجور بما يتفق والعمل المؤدى :

ووجه على باشا عناية خاصة إلى رفع المستوى الفنى للأطباء ، ولم يكن ذلك غريباً على الرجل الذى فتح من قبل مصاريع الدراسات

العليا وأقسام التخصص فى كلية الطب ليلحق بها أطباء وزارة الصحة إحياء لثروتهم العلمية .

قسم للمشروعات :

وأشار على باشا ابراهيم بإنشاء قسم يختص بدراسة المشروعات الصحية الجديدة دراسة علمية ، تحليلية ، ويعنى بإخراج هذه المشروعات فى أكمل صـــورة .

مدرسة العلوم الطبية الصغرى :

أما المعهد الصحى فقد حظى من على باشا ابراهيم بالعناية والرعاية ، وكان الدكتور على ابراهيم لا يفتأ يعنى برفع مستوى الدراسة الفنية ، صادراً فى ذلك عن اقتناع شديد بأهمية هذا المعهد فى تخريج مساعدى الأطباء على أساس علمى متقدم يمكنهم من الوقوف جنبا إلى جنب مع الأطباء ليوفروا عليهم كثيرا من وقتهم الذى يضيع فى المسائل الصحية والعلاجية البسيطة ، وكان على ابراهيم يعبر عن أمله فى أن يصبح المعهد الصحى مدرسة للعلوم الطبية الصغرى على نفس المستوى الذى تقوم به كلية الطب فى العلوم الكبرى :

فى المجامع الدولية :

وقد حرصت كثير من الجمعيات الدولية أن تضم على إبراهيم عضواً فى زمرة أعضائها تقديرا لفضله ، واعترافا بمكانته ، وأملا فى الاستفادة

من جهده والاستنارة برأيه ، وقد كان على باشا ابراهيم عضوا بارزاً فى المجمع العلمى المصرى ، وفى الجمعية الطبية البريطانية ، وجمعية طب المناطق الحارة وصحتها بلندن ، والمعهد الملكى للصحة العامة بلندن كما كان عضوا فى لجنة التأليف الالمانية للجراحة ببرلين ، وعضوا مراسلا لأكاديمية الجراحة بباريس .

والوطنية :

وعلى الصعيد الوطنى استطاعت الدولة أن تستفيد بقدرات على باشا ومواهبه فى مجلس فؤاد الأول للبحوث منذ انشائه وفى رئاسة مجلس إدارة الآثار العربية ، وفى المجلس الأعلى للاذاعة على النحو الذى فصلنا فيه القول سلفا .

وفى صعيد ثالث جمع على باشا ابراهيم مالم يجمعه غيره من المشاركة فى أنشطة كافة الجمعيات الاجتماعية التى تعنى بالنواحى الطبية ، بدءاً من عضويته المستمرة فى جمعية الهلال الأحمر ثم رئاسته لها ، ووكالته لجمعية الاسعاف العمومية ، وعضوية مجلس ادارة جمعية الجمعية الخيرية الاسلامية ، وجمعية المواساة الإسلامية بالاسكندرية .

وفى المجال الاجتماعى فقد ترأس جراحنا الكبير جمعيات مشروع القرش ، وتحسين القرى وحماية الطفولة المشردة .

فى مجمع الخالدين :

أما مجمع اللغة العربية فقد اختير الدكتور على ابراهيم لعضويته فى الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٤٠ ، ضمن العشرة الكرام الذين رأت الحكومة أن تعين بهم المجتمع على أداء وظيفته فى مجال العلوم والفنون بعد أن أصدرت مرسوما بزيادة عدد أعضائه ، وهم الدكتور هيكل والشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور على ابراهيم والشيخ محمد مصطفى المراغى وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد وعبدالقادر حمزة والعقاد وطه حسين واحمد أمين وكان على باشا ابراهيم أول الأطباء والعلماء الذين دخلوا المجمع وسرعان ماقرر مجلس المجمع ضم الدكتور على ابراهيم إلى لجنة المعجم وإسناد مسئولية لجنة الطب اليه .

المصطلحات الطبية وتعريب الطب :

وما أن انتهى على باشا إلى كرسيه فى المجمع حتى بدأ يسعى سعيا دءوباً فى النهوض بتعريب المصطلحات الطبية ، وكان يهدف إلى توثيق التعاون بين المجمع والجمعية الطبية فى هذا الصدد ، واقترح تشكيل لجنة مشتركة تتولى أمر المصطلحات ، كما اقترح على المجمع أسماء الأطباء الذين توسم الخير فى الاستعانة بهم على أعمال هذه اللجنة ، فقرر المجمع اختيار هؤلاء أعضاء فى لجنة الطب :

وتقدم على ابراهيم إلى مجلس المجمع بمذكرة شاملة فى موضوع تعريب المصطلحات وتوحيدها ، فأقرها المجمع ،وداوم على باشاعلى

موافاة المجمع بما انتهت اليه الهيئات الطبية المختلفة من مصطلحات عربتها ، وتوصيات اتخذتها وقواعد استنتها وبخاصة تلك القرارات التى صدرت عن المؤتمر الطبى العربى الذى عقد فى بغداد (١٩٣٨) .

ولم تقف جهود جراحنا الكبير على لجنة الطب ولكن تعداها إلى الافادة بخبرته وعلمه فى اللجان الاخرى المتصلة بثقافته .

مدير الجامعة :

لم يكد على باشا يستريح بعد خروجه من الوزارة فى آخر يوليو سنة (١٩٤١) حتى اختير فى الرابع عشر من سبتمبر مديرا للجامعة ، ولم يكن على باشا غريبا على الجامعة ولا كانت إدارتها غريبة عليه ، فقد قضى الرجل أحد عشر عاما من عمره فيها يجمع بين وكالتها وعمادة الطب وعضوية مجلسها ومجلس ادارتها ، وكان على ابراهيم كما أسلفنا القول يضطلع بأعباء ادارة الجامعة فى أحيان كثيرة ، ولم تكن منزلته عند الجامعيين بمنزلة عميد فحسب ، ولكنه كان عندهم بمثابة المعلم الثانى بعد لطفى السيد ، ولم يكن هناك من يملأ الفراغ الذى تركه لطفى باشا الاعلى ابراهيم وهكذا كان تقليد على إبراهيم مقاليد الجامعة من قبل الحكومة وضعا جامعيا صحيحا ، , واستطاع على ابراهيم كما قال أستاذنا الدكتور السنهورى أن يواصل السير فى الطريق الذى رسمه سلفه الكبير فقاد الجامعة وساس أمورها فى حكمة عالية وكفاية ممتازة ، وقد آنس فيه أعضاء مجلس الجامعة سرعة البديهة وصفاء الذهن ولباقة التصرف ، وكان له أسلوب فى الاقتراب من المسائل المعقدة يجعلك تظن أن ما يعالجه منها هو أيسر الأمور وأهونها

خطيبا وأكثرها بداهة ولم يكن يكثر من القول ولايحب الأناقة فيه ، ولكن القليل الذى يقوله فى غير ما كلفة ولا تصنع ، لايلبث أن يفجأك ببداهته وبساطته وسلامة منطقه ثم لايلبث أن يصيب موضع الاقناع من نفسك ثم لايلبث أن يتكشف فإذا به عصارة التفكير فى هذا الأمر وثمرة التجارب .

وقد استطاع على باشا ابراهيم أن ينأى بالجامعة عن السياسة والصراعات الحزبية طيلة السنوات الخمس التى تولى فيها أمورها ، وقد كانت فترة من أحرج فترات تاريخنا الحديث ولكن حكمة على ابراهيم باشا مكنته من أن يجتاز بطلابه وجامعته هذه الأزمات فى سهولة ويسر على أن الجامعة قدتطورت فى عهد على ابراهيم إلى طورها الثانى ، ذلك الطور الذى تتكاثر فيه الكائنات وتبث من حولها فى الكون آثارها وقد ترك لطفى السيد الجامعة وقد وقفت على قدميها ثابتة راسخة فى وجه التيارات وجاء على ابراهيم لينشئ من خلال الجامعة الأولى جامعتنا الثانية فى الاسكندرية ولم يكن هناك من يتصدى لمثل هذا العمل غير على ابراهيم الذى لم يكن يؤمن بالاحتكارات العلمية ولا بالتفرد فى مجال ، وحسبك أن هذا ليس الاصورة من نفسيته التى كانت تبحث فى كل زميل له وتلميذ عن الصفة العظيمة فلا يزال يشيد بذكرها فيه من دون أن يحسب حسابا لما اصطلح الناس على تسميته بتنافس أبناء المهنة الواحدة . ومن الثابت أن على ابراهيم لم يكن هو الذى وقع قرار إنشاء جامعة الاسكندرية ولكن على ابراهيم مدير جامعة القاهرة

كان صاحب الفضل الأوفى على هذه الجامعة ، ذلك أنه لم يبخل عليها بأستاذ ولا بمعونة ولم يقف فى سبيل نموها مرة واحدة ، ولو كان هذا النمو على حساب الجامعة الأم ، ولم يكن على ابراهيم فى هذا إلا رجلا جامعيا حقا يؤمن أشد الايمان بضرورة انبعاث روح العرفان الجامعى إلى كل أرجاء الوطن ، ولم يكن على إبراهيم فى هذا إلا الطبيب الذى يدرك كم تبذل الأم من حياتها لترى فى وليدها الحياة التى تتمناها ولم يكن على ابراهيم فى هذا إلاملبيا لنزعة نفسية طالما ألحت عليه بأن يرى فى مسقط رأسه الاسكندرية كلية طب ، وهى نفس النزعة التى كان يتوق إلى تحقيقها بإنشاء كلية طب ثالثة فى أسيوط التى بزغ فيها نجمه وتحقق مجده .

المدير الأب :

وكان على ابراهيم مدير الجامعة كما كان من قبل عميداً للطب وأستاذا فيها وصاحب رابطة وثيقة الصلة بأبنائه ، يشاركهم آلامهم ويتعهد آمالهم ، فيقدرون عطفه ويحبونه ولا يجدون بينه وبينهم إلا الألفة والمحبة . كان على ابراهيم حريصا على أن يرعى أبناءه الطلبة فينشئهم التنشئة الصالحة ويحنو عليهم ويرشدهم فى شدائدهم ويقسو عليهم حين يضلون الطريق وهم فى الحالتين متقبلون للمعاملة التى يعاملهم بها لأنهم لا يعهدون فيه إلا روح الأبوة الصافية والأستاذية الحانيـــة .

وقد كان على ابراهيم حريصا عن حب للعلم لاعن حب للسلطة على أن يبقى فى منصبه بالجامعة إلى آخر أيامه وقد كان ماأراد فتوفى وهو مدير للجامعة .

تكريمات :

هذا وقد حظى الدكتور على باشا ابراهيم بكثير من التكريم فى حياته وبعد مماته على الصعيدين المحلى والدولى ، وقد أقيم له سنة ثلاثين (١٩٣٠) حفل كبير بمناسبة منحه رتبة الباشوية ، وألقيت فى هذه الحفل قصائد شوقى ومطران وكلمات الأدباء والزعماء ، وعندما بلغ جراحنا الكبير الستين من عمره ، وهو وزير الصحة دعت الجمعية الطبية المصرية إلى الاحتفال بهذه المناسبة فى يوم الخميس العاشر من اكتوبر سنة أربعين (١٩٤٠) ودعت الجمعية كبار الأطباء فى مصر والشرق الأدنى إلى كتابة عدد من المقالات والأبحاث الطبية الطريفة خصيصا لعدد تذكارى من المجلة الطبية المصرية صدر فى أكتوبر (١٩٤٠) مصدراً بصورة الدكتور على باشا وتاريخ حياته العلمية والعملية وسلسلة أبحاثه ، أما وصف العيد وحفلاته وما ألقى فيه من خطب وقصائد فقد نشر فى العدد الثانى من المجلة فى ديسمبر (١٩٤٠) وجمعت الاشتراكات بانشاء جائزة باسم الدكتور على ابراهيم تنفق على الطالب المتفوق فى السنة الاعدادية ، واكتتبت الكلية فى شراء تمثال نصفى لعلى باشا من صنع الفنان مختار .

واقيم فى يوم اليوبيل حفلات حفل علمى فى الصباح فى كلية الطب ألقيت فيه نخبة من البحوث العلمية ، وأعلنت فيه قرارات التكريم . وحفل عام فى المساء فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، وفيه سلم أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى لعلى باشا ابراهيم نيشان المعارف من الطبقة الأولى ، ثم أحيت المطربة أسمهان وفرقتها الموسيقية سهرة ذلك اليوم . وقد تبقى من الاكتتابات التى جمعت لهذه الاحتفالات قدر من المال أسست به تلك القاعة من دار الحكمة التى تحمل اسم على باشا ابراهيم .

وفى هذه المناسبة أعلنت جمعية القرش عن قراراتها بمنح جوائز سنوية تحمل اسم على ابراهيم لأوائل ليسانس الحقوق وبكالوريوس تجارة والدبلوم فى الغزل والنسج فى المدارس الصناعية ومدرسة الفنون التطبيقية .

وقد سجل الأطباء الذين حضروا الاحتفال أسماءهم فى كتاب ذهبى فخم مقدم للدكتور على باشا فى حفلة المساء تتصدره العبارات التالية :

باسم العلى الحكيم :

إلى فخر الأطباء ونابغة الجراحين الدكتور على ابراهيم باشا .

تقديرا لفضلك واجلالا لقدرك ، واعترافا بعالى همتك ، وصادق خدمتك إذ رفعت نفسك بجدك إلى ذروة الطب ، وابرزت كفاءة المصريين فى فن ولد ونما فى بلادهم ، وازدهر على يد آبائهم

وأجدادهم ، وإذ خدمت العلم باحثاً مجربا ، كاتباً مدققا ، وتلاميذك أستاذاً ثم عميدا ، وأبناء وطنك شافيا ومنشئا ثم وزيرا وإذ رفعت مهنتك وزملاءك فى مصر والشرق بما جمعت من شملهم وضممت من صفوفهم ووحدت من جهودهم تتقدم إليك اليوم الأسرة الطبية المصرية وهى تحتفل بعيدك الستينى المجيد بهذا الكتاب ، تسجل به رضاها عنك وفخرها بك وعرفانها بجميلك ، داعية الله جل وعز أن يبارك فى مستقبل حياتك كما بارك فى ماضيك الحافل الجليل ».

نياشين وأوسمة :

أما النياشين والأوسمة والأوشحة التى حصل عليها على باشا فى حياته الخاصة فقلما اجتمعت لمصرى ، ذاك أن على باشا ابراهيم بموهبته العلمية ذائعة الصيت قد حظى بتقدير الشرق والغرب على حد سواء فحصل على النيشان المجيدى من الدولة العثمانية قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ومن لبنان حصل على باشا على وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية (سنة ١٩٢٥) ومن سوريا على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى (١٩٣٥) ومن العراق على وسام الرافدين المدنى (١٩٣٨) ومن ايران على الوشاح الأكبر الهميونى (١٩٣٩) ومن اثيوبيا على نيشان النجمة الأكبر (١٩٣١) ، ومن فرنسا على نيشان اللجيون دونور من طبقة كومندور (١٩٣٥) ومن اليونان على نيشان فينكس الاكبر اليونانى (١٩٣٧) ومن إيطاليا على النيشان الأكبر للقديسين موريس ولازار (١٩٣٧) ومن المانيا على صليب

الاستحقاق لنيشان النسر الألمانى من الدرجة الاولى (١٩٣٨) أما بريطانيا فقد منحت على باشا ابراهيم أعظم مايمنح لأجنبى وهو نيشان الامبراطورية البريطانية لقب فارس (سير) (١٩٣٩) أما كلية الجراحين الملكية بانجلترا فقد منحت على ابراهيم زمالتها الشرفية وهى الدرجة التى لاتمنح الا لعدد محدود جدا من أميز أعضاء الكلية وخريجيها.

ولعلنا نستطيع الآن أن نعود إلى حياة الرجل وأعماله بشئ من التأمل والتدبر بعدما تعرضنا لها بالسرد والتاريخ ولاريب أن فى حياة جراحنا العظيم دروسا وعبرا لكل مجتهد ولكل مجتهد نصيب :

نشأة عادية

وقد نشأ على ابراهيم نشأة عادية ، لم يكن فيها ما يرهص بعظمة ولا عبقرية ثم حصل على الابتدائية وكان فى وسعه أن يعمل بها كما كان السواد الأعظم من المتعلمين يفعلون ، خاصة وأن المدرسة الثانوية بالاسكندرية قد أغلقت أبوابهاولكن على ابراهيم لم يقل (بركةياجامع) وإنما ذهب إلى القاهرة مجاهدا وهو خالى الوفاض وكان سفره هذا أول الجهاد الحقيقى فى حياته .

مع مصطفى كامل :

وفى الخديوية لم يكتف الفتى الشاب بأن يحصل علومه إلى القدر الذى يضعه موضع الأولية فحسب ، ولكنه كان يجد فى تحصيل العلم من مصادره المختلفة ، وهنا بان تفتح نفسية جراحنا العظيم للعلم والبحث

ولم يـــكن على ابراهيم طالب الحـــديوية بعـــزلة عن السياسة ولكنه لم يسمح لها أن تعزله عن الدراسة وفى ذلك يروى أنه كان عازما على الانضمام الى مصطفى كامل فى جمعية سرية لتحرير البلاد ثم شاء اللـــه أن يسافر مصطفى كامل الى باريس لدراسة الحقوق ويبقى على ابراهيم فى الحديوية يتجهز لما كان من أمره فى دراسة الطب.

النظرة التى أعادته الى الطب :

وقد زامل على ابراهيم فى الحديوية كثيرا من الذين تداولت بينهم زعامة السياسة فى مصر حين كان على ابراهيم عميد الأطباء والجراحين بلا منازع ، ولم يكن هذا الا انعكاساً لما بدر منه منذ مرحلة الشباب حين كان على ابراهيم أول الدراسة بلا منازع .

وفى الأيام الأولى لعلى ابراهيم فى مدرسة الطب كانت تترامى إلى سمعه عبارات الخرافات حول الارواح التى تتقمص جثث المشرحة ، ولم يكن الفتى الذى تلقى العلم يؤمن بهذه الخرافات ، ولكنه رأى ذات يوم رأى العين ماجعله يعدل عن دراسة الطب ، وذلك أنه كان يتفحص منطقة الابط فى جثة من الجثث ففوجئ بكف صاحبها يلطمه على وجهه لطمة قوية ارتاع لها صاحبنا ودخل فى روعه صدق ما حدثه به الجهلاء وخرج على ابراهيم مسرعا موليا دبره عازما على ألا يعود ! غير أن الله سبحانه وتعالى ألهمه أن ينظر الى المشرحة بعد ما بارحها من نافذتها ليرى أيتبعه ذلك الميت ام لايتبعه ؟ كأنما أراد على ابراهيم أن يحدد موقفه هل يسرع الخطو ؟

أم يمشي الهوينى ؟ وعندئذ رأى صاحبنا المشبك الذى كانت يد الجثة مثبتة به على الارض ملقى عندئذ عاد على ابراهيم الى الطب .. فكان العود أحمد !

تفرغ للعلم :

ولم ينصرف على ابراهيم عن دراسة الطب إلى أى أمر آخر ، لاالى هواية من هوايات الفتوة و لا الى نزق من نزق الشباب ،ولا الى الراحة بعد تعب الدراسة اليـــومى ولكنه كان يزامل أساتذته ، ويتلقى على أيديهم مالا يتلقاه غيره ، وهكذا فطن صاحبنا الى دقائق الأمور وأسرار العلوم ، وتمرس بالبحث وهو لايزال طالبا وتساوى مع الاساتذة وهو لايزال يافعا .

ولم يكن غريبا أن يعين على ابراهيم مساعداً لاستاذه سيمرس وهو لايزال بعد طالبا فى السنة النهائية فلم يكن هذا التعيين إلا قرارا رسميا بواقع عملى لايقبل المراء لانه فى مجال العلـــم .

ثقـــة عـــن علـــم :

وها هوذا على ابراهيم قد خرجت به الوظيفة إلى الحياة الدنيافأخذ فى إثبات موهبته الفذة يوما بعد يوم ، وحين قال على ابراهيم لوزارة الصحة إن الوباء الذى انتشر فى « موشا هو الكوليرا عارضوه ، فأرسل لهم عينات من القىء ليحللوه فعادوا يؤكدون له كذب نبوءته فلم يكن من صاحبنا وهو الثبت فى علمه إلا أن يرسل لهم القىء مرة تلو مرة

حتى اقتنعوا بصواب راى الطبيب الشاب ، ولكن بعد أن تفشت الكوليرا إلى حد لم يكن هينا . وقد ساهم طبيبنا الشاب فى مكافحة هذا الوباء مساهمة شهد له بها فيما بعد . وحين كان على ابراهيم يشير باجراء العمليات التى نصح أستاذه الدرى باشا بعدم إجرائها ، لم يكن يبقى مجدا على حساب مرضاه ولكنه كان يستغل حيـــاة العلم لأجل حيـــاة النـــاس !

زهد العالـــم :

ولعل زهد العالم يتضح لنا أنصع مايكون عندما نرى على ابراهيم يترك المجد والصيت والدخل فى أسيوط ويعـــود الى القاهرة ليشغل وظيفة مساعد كبير الجراحين فى قصر العينى . وهذه النقطة بالذات قد تحتاج إلى قدر من التوضيح ، فلم يكن سلك التدريس فى المدارس العليا فى ذلك الوقت يلقى ما يلقاه اليوم من التقدير والاقبال ، ولكنه كان فى مرتبة تلى مراتب وظائف الادارة فى الحكومة بدرجات عديدة .

طموح وحريـــة :

ولعل بعضا من طموح على ابراهيم يتضح عندما نجده حريصاً فى كل مرحلة من هاتيك المراحل على ان تكون له عيادته الخاصة وعمله الخاص ، ولم يكن هذا حال الأطباء المصريين فى ذلك العهد : إنما كان حال الأطباء الأجانب الذين كانوا يحتلون المنزلة الأولى بين أطباء

مصر ، وجاء على ابراهيم ليفتح العيادة الخاصة وليسن سنة المستشفيات الخصوصية .

ولاء :

ولم يكن على ابراهيم حريصا على عمله ولا على حياته قدر حرصه على ايمانه وولائه ، ولعل هذا هو ما دفعه الى التطوع فى حرب البلقان فى جيوش الدولة العثمانية على النحو الذى أسلفنا القول فيه .

أنشأ الطب المصرى الحديث :

ثم انفسح المجال أمام جراحنا الكبير لتحقيق آماله فى طب وطنى وما زال الرجل العظيم يجاهد جهادا بعد جهاد ويحقق إنجازا بعد انجاز ، ويجتاز عقبة بعد عقبة ويمشى خطوة بعد خطوة حتى استطاع أن يشيد هذا الصرح الضخم من الطب المصرى ، مجلة ثم جمعية ثم مستشفى جامعيا مصريا على أعلى المستويات ثم كلية طب مصرية الصميم والجوهر والأركان ، ثم اتحادا ملكيا للجمعيات الطبية ثم دار حكمة ووزارة صحة ونقابة أطباء ثم نقابات وكليات طب خارج القاهرة . ولم يكن على باشا فى تحقيق هذه الانجازات يتعجل النجاح ولكنه كان رجلا عمليا بكل ما تعنى هذه الصفة من المعانى ولعل فى هذا سرا من أسرار ذلك البناء الراسخ .

وعلى الرغم من أن القصة التالية لا تعبر أصدق تعبير عن صفة الرجل العملى فى على ابراهيم إلا أنها تلقى بعض الضوء على سمات هذه العملية

حدث أن جراحنا الكبير كان على سفر الى السودان وعلم أولاده بخبر سفره ولم يكن أكبرهم قد تجاوز السادسة من عمره فأخذوا كعادة الأطفال يبكون يبغون صحبة والدهم فى سفره ووالدتهم تنهرهم تستنكر عليهم أن يذهبوا مع أبيهم الى السودان وماذا يفعلون فى السودان فلما عاد على ابراهيم الى بيته ووجد ما وجد ، طيب من خاطر أولاده وسأل زوجه أن تلبسهم ملابسهم حتى يذهبوا معه إلى السودان ثم انصرف بهم الى حديقة من الحدائق وقال لهم هذه هى السودان اليست جميلة ؟ ولم يكن لهم بعد ان رأوا هذه السودان الا أن يقولوا : « بلى ».

ولم يكن على ابراهيم حين شيد صروح الطب المصرى يقول للأطباء مثل ما قاله لاطفاله ولكنه كان يقول مثل هذا القول للمعارضين وعبيد الروتين .

ولم تكن « عملية » على ابراهيم فى الحياة العامة إلا امتداداً لهذه الصفة فى فنه الجراحى فلم يكن على ابراهيم وهوصاحب مدرسة كبرى فى الجراحة وصاحب طرق مثلى فى العمليات وصاحب يد طولى واصابع حساسة لم يكن ليقيد نفسه بالخطوات التقليدية فى الجراحات وإنما كان حريصا كل الحرص على الحفاظ على صحة مريضه والنجاح فى القضاء على مصدر الألم بأقل الآثار الجانبية ولم يكن على ابراهيم يتبع دائما التسلسل الذى تقول به الكتب ولا الخطوات التى يتلقاها الجراحون عن أساتذتهم ، وانما كان يقول لتلاميذه وزملائه أيضا : « ما قيمة الحفاظ على الخطوات التقليدية اذا لم نحافظ على حياة المريض ! » .

وهكذا لم يتنكر على ابراهيم لمبادئ الطريقة إلا حفاظا منه على مبادئ الانسانية واذن فلم يكن الأمر في عمل على ابراهيم سواء في الحياة العامة أو في ممارسته لمهنته تضحية بالغاية في سبيل الوسيلة وإنما كان تضحية بالوسيلة التقليدية في سبيل الغاية السامية

وقد نجح على ابراهيم في إيجاد الثقة في الطبيب المصرى وفي الطب المصرى حتى صارت هذه الثقة الى هذه الدرجة الرفيعة التي بلغتها على يديه واذا أردنا أن ندرك مدى النجاح الذى أحرزه على ابراهيم في هذا الشأن فما علينا الا نعود بالذاكرة لنتأمل حال الطب المصرى قبل على ابراهيم على النحو الذى سيأتى ذكره أو نتأمل — من غير عودة — حال المهن الأخرى التي لم يتح لها على ابراهيم يبث الثقة في ممتهنيها من المصريين ، أو فلنقرأ عبارات بهى الدين بركات باشا حين يقول في الاحتفال بيوبيل على ابراهيم « عرفت على ابراهيم ، عقب أن غادر أسيوط وجاء الى القاهرة مساعدا لاستاذ الجراحة في قصر العيني بعد أن كان له اسم عريض ملأ كل نواحي الوجه القبلى حتى نعت بعلى ابراهيم الأسيوطى » .

« جاء الى مصر ووراءه كل أهل الصعيد لايثقون إلا به ولا يطمئنون إلا لمشورته وكانت البلاد في هذا الحين قد انطبع في نفسها اليأس ففقدت الثقة بالمصريين لأنهم مصريون — وكانت الأسر الغنية وصاحبة الجاه لاتعتمد الا على الأجانب وحدهم . ولكن عبقرية على ابراهيم سمحت له بالاستثناء فهل اطمأنت تلك النفس الكبيرة إلى تلك

الحال أو رضيت بهذا النصيب أو ارتاحت الى ان يكون صاحبها وحده هو المستأثر بهذا الامتياز ؟؟ كلا فإن على إبراهيم لم يطمئن نفسا حتى شق الطريق لجميع من توسم فيهم الخير من زملائه وأصدقائه .

ومازال يجاهد ويناضل حتى وضع المصرى فى صف الأجنبى ثم خطا به الى الامام فخلق روح الثقة بيننا وعمل على أن يصل الطبيب المصرى بجهده وعمله وحبه لفنه كما تعمل الامم الراقية والشعوب التى وصلت إلى أعلى درجات الفن حتى أننا رأينا فى البلاد انقساما و تخاذ لا فى جميع الصفوف ولكن على ابراهيم — مع ما كان له من رأى معروف فى السياسة — وأصدقاء على ابراهيم ظلوا وحدهم موضع الثقة من أصدقائهم وخصومهم على السواء ، وكانت الثقة تذهب الى حد أن على ابراهيم كان موضع سر الخصمين العنيفين والعدوين اللدودين فى وقت واحد . ذلك درس فى تقديس الواجب أرجو أن يتعلمه غير الاطباء على أستاذ الطب الأكبر وأن يتدبروه ، انهم ان فعلوا ذلك خدموا أنفسهم وبلادهم أصدق خدمة .
، أو لتستمع الى الدكتور إبراهيم شوقى وهو يؤبن على ابراهيم فيقول :

كان من أخص فضائل على باشا الطموح وسعة الأفق والاعتداد بعصريته ، ومالبث أن كون لنفسه مركزا ممتازا فى الهيئة الاجتماعية ونفث من روحه بين زملائه الاطباء المصريين الطموح وحب الاتقان فتقدموا الصفوف بعد ان كادوا أن يكونوا فى المؤخرة فى العصر الحديث .

فما انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كان الأطباء المصريون قد كونوا الزعامة الفنية فى كثير من فروع الاختصاص ، وأصبح لهم مكانة علمية ملحوظة »

منهج حياة :

على أن لعلى ابراهيم منهجا خاصا فى عمله والى هذا المنهج يعزى كثير من النجاح الذى أحرزه طبيبنا فى فن الجراحة القدير ، وقد كان صاحبنا أول من عنى بالتعقيم عناية خاصة وليس هذا بغريب على صاحب البحث الذى نشر عام (١٩١٠) مثبتا أن الهواء يحمل فى تياره ملايين الميكروبات وكان على ابراهيم حفيا بالتمريض مدركا لخطورة شأنه وكان على ابراهيم مهتما بالتخدير حريصاً ألايقوم بأمره إلا أخصائى فيه وكان على ابراهيم حين يجرى عملياته تستولى عليه شخصية الجراح العبقرى وينقلب وكل جارحة فيه عين نافذة وكأنما يتحول حس أصابعه الدقيقة إلى ابصار فى سرعة وابداع فى تصرف واحتراس للطوارئ والاحتمالات المفاجئة .

عشرة قروش :

ويتحدث الدكتور محمد عبد الحميد عن اهتمام على باشا ابراهيم بعملياته فيتذكر أنه من حوالى ١٩٠٣ حين كان طالبا فى الطب وعلى ابراهيم طبيب الامتياز فى قصر العينى وكانت أول مرة له يرى فيها على ابراهيم فسمعه يقول لأحد ممرضى المستشفى « إذا نجحت

عملية هذا المريض والتحم جرحه بالقصد الأول أعطيتك عشرة قروش » قال الدكتــور محمد عبد الحميد « ولا يخفى أننى استنكرت منه هذا القول ، بل هذا السخاء ، وماكان أظلمنى فى استنكارى لأننى لم أكن أدرك ما أدركته بعد ذلك اذ أصبحت طبيبا ، وهو عنايته بالتعقيم ، والتعقيم من أهم الأركان التى بنى عليها تقدم الجراحة فى العصر الحديث ، وكان وقتئذ من المستحدثات الطبيـــة فلم يتمسك بمبادئه ولا اعتصم بوسائله الا القليـــل من الجراحين .

ما فائدة نجاح العملية اذا مات المريض :

ويحدثنا الدكتور محمد خليل عبد الخالق فيقول « كان لا يبالى فى تضحية الشئ الكثير من التمسك بالمثل العليا بالطريقة التى تؤدى إلى النتيجةالتى يقصدها وإن لم يصل إلى كامل الغرض فلا بأس من الاكتفاء بقدر من النجاح ...

قال لى يوما ما فائدة النجاح للعملية إذا مات المريض؟ ولم لا نستغنى عن بعض الخطوات الأصلية طمعا فى انهاء العملية بسرعةوانقاذ حياة المريض ! ان الذين يتمسكون بأن يكون طريقهم مثاليا للوصول إلى الهدف يضحون بالهدف نفسه ، وربما لم يشغلنى فى حياتى شاغل أكثر من مناقشتى لفقيدنا فى هذا الموضوع .

هواية لاعمل :

ويحلل لنا الدكتور محمد مبارك عناصر الشخصية الجراحية فى على ابراهيم فيقول : (كان جراحا ولقد خلق له قلب أسد وعين صقر ويد سيدة حانية ، كان نحيفا جاف الجسم لايعرق إلا قليلا بينما كان غيره يتصبب عرقاً وقت العمل ويسيل عرقه فى الجرح قبل البشامل الجراحية ، وكانت الجراحة مسلاة له لاعملا شاقا يقارفه ، لذلك ظل يشتغل بها طول حيـــاته ولم يجفل من ميدانها ، وكانت أعصابه الفولاذية لاتخونه وهو يعمل العمليات الكبرى حتى لأصدقائه وهى مهمة من أشق المهام .

مونيهان يقول :

على أن مايتوج هذه الأقوال والشهادات كلها هو ماقاله اللورد « مونيهان » كبير الجراحين الانجليز حين زار مصر ووقف يشاهد على ابراهيم يقوم بعملية ابتدعها الجراح الانجليزى الكبير« لوكهارد ماماري » ، فلما انتهى على ابراهيم من العملية قال اللورد « وددت لو أتى لوكهارت ماماري إلى مصر ورأى على إبراهيم يجرى عمليته كى يتعلم من على ابراهيم كيف يعمل العملية على الوجه الأكمل »

الانجليز لايحترمون سواه :

ولم يكن هذا الذى قاله اللورد مونيهان الا امتداداً لما عبر عنه الدكتور محمد مبارك حين قال « مارأيت مصريا كان يحترمه الانجليز فى عمله كما كان يحترم الإنجليز على باشا ابراهيم أيام كان على

أفندى ابراهيم وهم فى عز عنجهيتهم أو عز غرورهم ، كان المرحوم المسترمادن يحترمه وهو مساعده، وكان يستفيد منه ولم يسافر على باشا فى دراسته ولكنه سافر كثيرا للمشاهدة وإلقاء المحاضرات ، كان عالماً فى فنه ولذلك انهالت عليه الألقاب العلمية وعضوية الجمعيات من كل صوب كما انهالت عامه الرتب والنياشين وإن كانت عبقريته فى نظرى أكبر » .

الخلق :

وقد وفق الله على ابراهيم أن يجمع إلى هذه الموهبة الفذة فى الجراحة مايكملها من خلق رفيع وسمو نفسى فلم تكن عظمة على ابراهيم فى فنه على حساب جوانب أخرى من الشخصية وإنما كانت فى أخلاقه تلك الرفعة التى كانت فى قدراته وتلك العظمة التى كانت فى أعماله كان على إبراهيم شهما مغيثا ، وحدث أنه كان على خلاف فى الرأى مع طبيب من الاطباء وقد عاداه ذلك الطبيب صراحة ردحا من الزمن ، حتى إذا اشتد عليه المرض طلب أن يعوده على ابراهيم ، وكان على ابراهيم يومها فى الاسكندرية يعانى من حمى الانفلونزا فعزم على السفر من فوره إلى القاهرة لعلاج صاحبه على الرغم من الحالة التى كان عليها حرصا منه على ألا يمنعه الخلاف الشخصى عن أداء واجبه كجراح ومنقذ ولعل هذا كما يقول استاذنا الدكتور حسن على ابراهيم انه مصداق قول شوقى فيه .

وأتاه موجعا حاسده سل من جنبه الحسود السرطانا

زهد فى المـال :

وكان على ابراهيم عفا عن جمع المال ، وكان حريصا على أن تكون أتعابه متواضعة حتى تظل خبرته دائما فى متناول كل محتاج إليها . ، وكان يقدر ظروف مريضه ويضعها فى حسبانه عند طلب أتعابه وكان يعنف اخوانه وأبناءه من الاطباء والجراحين الذين يطلبون من المريض مايعجزون عنه وكان له فى تقدير اتعابه أسلوب خاص وكان يطلب من الغنى القادر الكثير ومن متوسط الحال القليل، ولم يكن يطلب من الفقير شيئا وكان يعالج المحتاج من جيبه ولم يكن يفعل ذلك كله ابتغاء رواج أو كثرة فى عدد المترددين عليه وانما كان يفعل ذلك فعل القدرة حين لم يكن هناك غيره ولو طلب كنوز الأرض لسعى اليه المريض بها .

الكـم والكـيف :

وبالإضافة إلى الدرجة الرفيعة التى تميز بها على إبراهيم فى جراحاته فقد كان كثير العمل ويكفى أن نذكر أنه فيما بين عامى ١٩٠٩ ، ١٩٤٥ قام رحمة الله عليه بأجراء — حوالى خمس وثلاثين الف عملية خصوصية ، وبلغ عدد عملياته الخاصة فى يوم واحد فى المستشفى الاسرائيلى ثلاث عشرة عملية ، وفى الفترة التى قضاها فى أسيوط (١٩٠٤—١٩٠٩) أجرى أكثر من مائتى عملية «المامور يون» فى حالات الاستسقاء .

حســن الصحبة :

وقد عاش على ابراهيم كما يقول الدكتور على توفيق شوشة عف اليد والضمير ، مذكورا مشكورا بكل لسان ، حسن الصحبة ، مأمون السريرة يكره عداوة الرجال ، لكنه كان يكره الفرار إذا أكره على النضال .

قلب كــبير :

وكان لعلى ابراهيم قلب كبير وكانت له مطامح لاحد لها ولكنه كان انسانى النزعة فى كل ما تشرئب إليه وتتعلق به نفسه وكان ذكاء على ابراهيم متوقدا ينفذ إلى صميم ما يعرض عليه من المواضيع ، فيصل إلى النقاط الاساسية فى سرعة بالغة ولم تكن خصلة النفاذ إلى الاعماق هذه مقتصرة على تعامله مع الماديات ، وإنما كان على ابراهيم من أشد الناس نجاحا فى اختيار الاعوان والمساعدين ومعاملتهم ، فقد كان يزن كل فرد يعمل معه وينفذ إلى صميم نفسه ، فيأتيه من حيث يضمن معه النجاح وليس هذا بغريب من الطبيب الذى — تعامل مع مختلف المشارب والمآرب والنزعات والطباع !

وقد لمعت مع على ابراهيم كوكبة من أطبائنا الرواد فى شتى فروع الطب . وكان هؤلاء حوله بمثابة النجوم اللامعة فى سماء الطب : نجيب محفوظ وأحمد شفيق فى النساء والولادة وابراهيم شوقى فى الاطفال وسليمان عزمى وعبد العزيز اسماعيل فى الامراض الباطنة محمد خليل

عبد الخالق فى الميكروبات ، عبد الواحد الوكيل فى الصحة العامة ، محمد عبد الوهاب مورو وعبد الله الكاتب فى الجراحة .

تلاميذه :

وبالاضافة إلى هؤلاء فقد خرج على ابراهيم ببراعم الشباب النابغ إلى صفوف الأساتذة الكبار فكان لنا من تلاميذه فى الجراحة الدكاترة عبد الله الكاتب ومحمود اسماعيل ومحمد كامل حسين ومحمد عانوس وعبد الله على وفؤاد يسرى وعباس حلمى ولطفى عبد السميع واسماعيل محرز وفى غير الجراحة كان لنا من تلاميذ على ابراهيم الدكاترة محمد ابراهيم ومحمد جعفر وبول فليزنجى ومحمد عرفه ومحمد أحمد سليمان وعبد الله رفله ومحمد عبد الحميد عطية وعبد المحسن سليمان وحسن على ابراهيم وأحمد حندوسة ومحمد فطين ومصطفى عمر وفتحى الصيفى ويوسف الاعصر وأمين طرفان ومحمد طلعت ومحمد شفيق الريدى ومحمد عبد الحميدجوهر ومحمد عبد الفتاح شريف :

بالدقيقة :

ولعل أكثر خصلة مكنت على ابراهيم من تحقيق كل ماحققه من الامجاد هو حفاظه الشديد على وقته ، وتنظيمه له إلى أبعد الحدود وقد بلغ الامر فى هذا أنه كان يرتب مواعيد لقاءاته فى عمله بالدقيقة لا على أرباع الساعة وانصافها ، كان ينهض مع شروق الشمس فيبدأ بإجراء عملياته ثم يتوجه إلى عمله مبكـــرا عن غيره فيقضى فيه

ما شاء الله من فترة الضحى ثم ينصرف تباعا إلى حضور اللجاز والمجالس التى يرأسها أو يشارك فى عضويتها ثم يعود أدراجه إلى منزله للراحة لا يخالف عن ذلك فى الصيف ولا فى الشتاء فاذا قام من نوم الظهيرة استأنف نشاطه على النحو الذى كان منه فى الصباح ثم قضى بعض الوقت فى نادى محمد على ، وذهب فى ساعة مبكرة الى سريره ، ولم يكن لعلى باشا شغف بالسهر الا سهرة الخميس يقضيها مع خاصة أصحابه ، فاذا أصبح يوم الجمعة وانتهى الناس من صلاتها انصرفوا الى صالون على ابراهيم فى منزله فبقوا فيه ساعة أو ساعتين .

على أن هذا الرجل الجاد العملى ذا الوقت المزدحم كان مهتما أشد الاهتمام بفنوننا الجميلة وكان ذواقة للغناء والموسيقى ، محبا للأصوات العذبة الجميلة وكان إلى هذا مفتوناً بجمع التحف الاسلامية الى الحد الذى يعبر عنه الشيخ عبد العزيز البشرى بعباراته الظريفة التى يقول فيها « سلطت عليه شهوة اقتناء « السجاجيد » وألوان — الطرف واحراز ماأبدعت يد كل فنان وكل ماافتتن فيه كل صنع حسان ، ومن كل ما رثت فيه العصور ، ونصل عليه لون الزمان ، من دمى وتماثيل ، وتصاوير ، ونمارق ووسائد ومعاضد وقلائد ، وخشب منجورة ، وأحجار محفورة ، ومزاليج أبواب ، وسروج دواب وشرفات دور ، وشواهد قبور ،وضباب مصبرة وجرار مكسرة .. الخ .

ولم يكن على باشا إبراهيم يجمع هذه التحف حرصا على جمالها فحسب وانما كان يجمعها ليكون منها مجموعات أثرية تدل دلالة كاملة على طبيعة الفن الاسلامى وتطوره والمؤثرات التى أثرت فيه وقد بذل جراحنا الكبير من وقته وماله وجهده الكثير حتى — استطاع أن يجمع مجموعة لم تتوافر لغيره ، بل لم تتوافر لكثير من المتاحف العالمية، وكثيرا ما كان جراحنا الكبير يتلقى عروضا شخصية من المتاحف العالمية لشراء مجموعة ، ولكنه لم يستجب أبدا لأى من هذه العروض وكان يوصى أولاده ألا يفرطوا فى شىء من هذه المجموعة وأن يحتفظوا بها لمصر ، وقد رأت أسرته أن تهدى هذه المجموعة إلى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وشكل متحف الفن لجنة من الخبراء انتقت من مجموعة على باشا ابراهيم ثمان وسبعين وثلاثمائة قطعة خزف هى كل مجموعة على ابراهيم الخزفية ، وسبعا وعشرين ومائة (١٢٧) سجادة ، واثنتين وأربعين (٤٢) لوحة بلاط قيشانى وستا وعشرين (٢٦) قطعة خزف تركى ، وستا وثلاثين (٣٦) قطعة نحاس ، ومنذ مارس سنة سبع وأربعين (١٩٤٧) وحتى اليوم تقف هذه المجموعة الرائعة فى متحف الفن الاسلامى شاهدا حيا على مبلغ العلم والفن الذى بلغهما على ابراهيم فى هوايته الفنية .

وكما كان على ابراهيم فى طليعة المصريين المحبين للفنون الجميلة ، فانه كان فى طليعة المؤسسين لجمعية محبى الفنون الجميلة سنة ١٩٢٣ ، ومن أنشط القائمين على أمرها وتوجيه نشاطها .

صالونات الأدباء :

وبالاضافة الى هذا فقد كان على إبراهيم من الذواقة الذين يأنس الأدباء والشعراء والفنانون برأيهم ويقدرونه وهكذا اجتمعت لعلى ابراهيم دقة الحس من جميع أطرافها ، وكان على إبراهيم فى ذوقه مصرياً صحيحا ، ولكنه الوطنى الذى خرج بمحليته إلى العالمية ولم يكن على إبراهيم وهو محط الانظار يباهى بثوب جاء به من الخارج دائما كان كما يروى المغفور له الدكتور محمد بهى الدين بركات باشا .

يجلس معنا مفاخرا مباديا طورا بلهجة الجد وأخرى بلهجة الدعابة الظريفة بما يشترى من مصنوعات شرقية وما يلبس من لباس مصرى فأقمصته من حرير دمياط ، وبدله من أحمد عبد الرحمن وتحفه من قطع السجاجيد الشرقى النادرة ولغته هى لغة الأدب العربى ، حتى إن الكثيرين ممن ألفوا مجلسه كانوا يعجبون للغة هذا العبقرى ، ويدهشون لما يجدونه عليه من الاطلاع فى الآداب العربية .

« كل ذلك مع عذوبة فى اللفظ ورقة فى الأخلاق ، حتى انك عندما تستشيره فى مسألة من أعوص المسائل الطبية » تجده ينبئك عنها بلغة سهلة وأسلوب واضح ويضع أمامك الجسم الانسانى فترى أدق أجزائه كيف يعمل ، وأعقد وظائفه كيف يقوم بها من غير عناء ولا اجهاد » .

الافـــادة من النجاح :

كان على إبراهيم كما قال أستاذنا الدكتور مصطفى الديوانى ناجحا مكنه ذكاؤه من استغلال نجاحه إلى أقصى حد فى سبيل تحقيق الرسالة فليست العبرة فى الحياة بالنجاح ولكن الأديب اللبق هو الذى يعرف كيف يفيد من أول نجاح يصادفه ، وكان قادرا على أن نقوم بأكثر من عمل واحد فى نفس الوقت وبنفس الاتقان .

موهبة وحظ :

والذين يتتبعون حياة على باشا إبراهيم يجدون خط التوفيق والنجاح يسير موازيا لخط حياته ، فكأنما كان التوفيق حليفه ، وكأنما كان الحظ يحابيه ، وكأنما كانت به حصانة ضد اليأس ، بيد أن الحقيقة فى هذا الأمر أن الرجل كان جم النشاط على نحو ما فصلنا فيه القول من قبل فى عمله وفى نظام يومه ، ولم يكن على باشا فى يومه يكف عن التفكير ولا يفتر عن الحركة وقد سبقنا الدكتور شوشه إلى التعبير عن هذا المعنى بقوله « يندر أن تلقى رجلا مثله انتفع ونفع بكل دقيقة من أوقات يقظته ، فقد كان لا تستكين له حركة الا إذا عكف على التأمل والتفكير . وكثيرا ما كان يفكر وهو فى صحبة الناس ، يكون معهم بجسمه وينأى عنهم بعقله ، ومع ذلك لا يسهو عن مناقشتهم » وعلى الرغم من هذه السعة فى الوقت التى أتاحها على باشا لنفسه كل يوم فقد كان شحيحا بوقته إلى أبعد الحدود لا ينفقه الا فى جلائل الأعمال فلم يكن يومه يمضى إلا وقد

أنجز فيه ما ينجزه العشرات فى عشرات الأيام ، وبالإضافة إلى هذا كانت له خبرته التى ظلت تنمو يوما بعد يوم وهكذا كان حجم العمل الذى كان ينجزه يزداد يوما بعد يوم تبعا لازدياد خبرته وعلاقته ونفوذه وفيما قبل هذه العوامل الثلاثة كانت لعلى إبراهيم عبقريته وقدرته ومهارته التى ترتفع بحجم عمله ومستوى أدائه عن مستويات عامة الناس.

عوامل العبقرية :

وبهذه العوامل الأربعة من سعة الوقت وكثافة العمل وسمو الخبرة وعظمة القدرة أتيح لعلى إبراهيم أن يجمع العصامية والعبقرية والاصلاح والزعامة .

لحن الغروب :

هذا وقد ابتدأت صحة على باشا إبراهيم فى الاعتلال فى أوائل سنة ست وأربعين (١٩٤٦) وكان كثيرا مايلزم بيته ويعتكف عن عمله وكان يحس إحساساً شديدا بدنو أجله ، حدثته السيدة ابنته عن بعض الترتيبات التى تجريها فى الحجرة والتى ينتقل إليها فى الصيف فقال لها لاتتعبى نفسك فلما كان يوم الثلاثاء السادس من ربيع الأول سنة ١٣٦٦ ست وستين وثلاثمائة والف من الهجرة الموافق الثامن والعشرين من يناير سنة ١٩٤٧ سبع وأربعين وتسعمائة والف وتناول طبيبنا الأول غذاء خفيفا ثم ذهب فى النوم ، حتى إذا كانت الساعة الخامسة أفاق من نومه وصعدت روحه إلى بارئها ، ولما كان اليوم الثانى خرجت جموع الشعب

فادت صلاة الجنازة على فقيدها العظيم خلف الامام الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى لحق بالفقيد بعد ذلك بأيام ، وخرج كبار رجال الدولة جميعاً يشيعون جثمان الرجل الذى طالما عنى بأجسادهم ، وبنى فى مصر بناء الطب الحديث راسخا ثابتا عاليا شاهقا جميلا جليلا .

تأبين :

وفى الرابع والعشرين من مارس سنة سبع وأربعين (١٩٤٧) أقام مجمع اللغة العربية حفلا فى دار الجمعية الجغرافية أبن فيه الدكتور على توفيق شوشة فقيد المجمعين ، وفى العاشر من ابريل سنة سبع وأربعين أقامت الهيئات الطبية مجتمعة حفلا كبيراً لتأبين الفقيد نشرت كلماته فى عدد المجلة الطبية المصرية (مايو ١٩٤٧) .

قلادة الجمهورية من الرئيس السادات :

وحين احتفلت نقابة الأطباء فى سنة تسع وسبعين (١٩٧٩) بيوم الطبيب المصرى الأول كان على باشا إبراهيم على رأس الاطباء الرواد الذين كرمت النقابة ذكراهم ، وانتهز الرئيس السادات هذه الفرصة فأهدى اسم الجراح العظيم قلادة الجمهورية، وسلمها سيادته فى الاحتفال بيوم الطبيب الثانى سنة ثمانين (١٩٨٠) للأستاذ الدكتور حسن إبراهيم الابن الأكبر لجراحنا الأكبر .



الباب الثانى

من أفكار الدكتور على باشا ابراهيم



يتناول هذا الباب أفكار على إبراهيم فى عشر نقاط محددة كنموذج يستبين معه فكر عالمنا الجليل ، وجراحنا الكبير .

والحق أن على باشا ابراهيم لكثرة أعماله وإنجازاته ومشاغله ، لم يكن صاحب قلم بالمعنى المعهود ، رغم أنه كان مفكرا عميقا وفيلسوفا اصيلا ، ولكن فلسفته العظيمة فضلت أن تظهر فى أروع الصور ، صور الانجازات والصروح الضخمة التى تتحدث عن نفسها .

ليس على الانسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على ابراهيم الصحية إلا أن ينظر إلى قصر العينى من أية وجهة ، ومن أى وجه ، وليس على الإنسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على إبراهيم العلمية إلا أن ينظر إلى الجمعية الطبية المصرية ، ومكتبتها ومؤتمراتها ومجلتها وجمعياتها الفرعية ، وليس على الإنسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على إبراهيم المهنية إلا أن يتأمل الوضع المميز الذى صارت إليه نقابة الأطباء بفضل على باشا بعد أن لم يكن للأطباء نقابة ولا رابطة ، وليس على الإنسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على إبراهيم

التعليمية إلا أن ينظر إلى هذه الصروح الضخمة التى خلفها الرجل وراءه وأعظمها هذه الجامعة الثانية فى الإسكندرية وهذا الثبات فى الجامعة الأولى ، وليس على الإنسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على إبراهيم الجامعية إلا أن يتامل فى مائة من أعلام الطب الدوليين خرجوا إلى هذه المواقع المتقدمة بفضله ، وليس على الانسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على ابراهيم الاجتماعية إلا أن ينظر إلى ضروب الإصلاح الاجتماعى التى حققها حسب ماأشرنا إليها فى الباب الأول ، وليس على الإنسان الذى يريد أن يتأمل فلسفة على إبراهيم الأسرية إلا أن ينظر إلى أبنائه الثلاثة أعلاما خفاقة فى سماء مصر، وليس على الإنسان الذى يريدأن يتأمل فلسفة على إبراهيم السياسية إلا أن يتأمل فى السياسة التى اختطها لنفسه ولبنى مهنته ، فكان هو وهم أوائل الناجحين فى معركة التقدم فيما بين الثورتين ، أما الذى يريد أن يتأمل فى فلسفته الاصلاحية فلينظر إلى أى جانب من هذه الجوانب ، ففيها كلها بصمات الاصلاح .

لهذا فإنه ليس تقصيرا منا ألا نفسح الصفحات لفلسفة الرجل ، لإن الصفات لاتتسع لهذه الفلسفة ، وإنما اتسعت لها أرض مصر .

إنما هى آراء مقتطفات من الخطب والكلمات الافتتاحية والعدد القليل من المحاضرات العامة أردنا بها أن نبين عن نموذج للعقل الناضج كيف يتعامل مع المعطيات التى أمامه ، وكيف ينفذ إلى الحقائق ، وكيف يجلو هذه الحقائق ، بل وكيف يغير الحقائق ويخلق الحقائق الجديدة .

فى مسألة السكان وتنظيم الأسرة :

كان على إبراهيم يؤمن أنه لايشك فى أن الازدياد فى عدد السكان ظاهــرة جيدة ، لأن إكثار النسل ونمو عدد السكان هــما الأداة السياسية لرقى الامــم وحضارتها ، لما ينشأ عن ذلك من كفاح العقول والأجسام للحصول على رغد العيش ، ولكن « لهذا الازدياد السريع لعدد السكان فى بلادنا بعض النواحى تسترعى انتباه الباحثين » هنا نجد على باشا إبراهيم فى الثلاثينيات والاربعينيات ينبه فى عبارات علمية دقيقة الى عدد من أهم الحقائق السكانية التى صارت لها بعد ذلك عبارات اصطلاحية ، وعلوم خاصة :

(١) فعلى إبراهيم يشير بعقليته الواعية إلى ظاهرة اضطراب الهيكل السكانى من دون أن يستعمل هذا المصطلح ، فيقول فى عبارات علمية دقيقة « على أن هناك ملاحظة جديرة بالتقدير نشاهدها عند الأمعان فى النمو السكانى فى بلادنا وهى تبدو بجلاء حين نقارن الحال

لدينا بالمالك الغربية ، فإن تكوين سكان هذه البلاد حسب الأعمار كما نجده الآن يدل على أن الاطفال إلى سن العاشرة يكونون أكثر من ربع السكان عادة وهى نسبة تفوق مانجده فى الممالك الأوربية كانجلترا وسويسرا وفرنسا وغيرها » .

ويشرح الدكتور على إبراهيم هذه الظاهرة معللا فيقول « وسببها ولاشك هو إزدياد نسبة المواليد فى بلادنا ، ولكننا إذا تتبعنا فئات العمر الأخرى ، إتضح لدينا أن تلك الممالك تفوقنا نسبيا بدرجة محسوسة فى مقدار شبانها وكهولها وكبار السن فيها ، أى فى تلك الأعمار المنتجة الصالحة الناضجة التى عليها المدار الحقيقى لتقدم الأمة ورفعتها » .

ويعلل على باشا هذه الظاهرة بسببين أولها : إرتفاع نسبة الوفيات بين المواليد ، فمعظمهم يموت سريعا قبل وصولهم إلى الأعمار النافعة ، وثانيها إزدياد معدل الوفيات ووفيات الأطفال تمثل (٦٠– ٧٥٪) من الوفيات فى كثير من الأحايين عندنا .

(٢) وعلى باشا إبراهيم يقف من موقف التزايدالسكانى موقف المحذر ، فى مرحلة مبكرة وهو لايناقش قضية تنظيم الأسرة على النحو الذى نوقشت به فيما بعد ، وإنما ينظر إلى الأمر من زاوية واجب الدولة وواجب وزارته (الصحة) » وجوب توفير سبل الحياة السهلة لهذه الملايين المتزايدة ، فلا شك أنه ليس بعيدا ذلك الوقت الذى سنجد فيه أن موارد بلادنا المعتادة غير كافية لايواء سكانها وقد قرر البعض أن مصر ستصل

الحيوية والأحوال العمرانية (ومع هذا يؤكد الدكتور على باشا أن السبب الأول هو الجهل .

خطورة موقع مصر الجغرافى من الناحية الصحية :

(١) يشير على إبراهيم إلى تميز موقع مصر ، ثم يقول « وهو موقف ان لذ للجغرافى أوشاق للمؤرخ حين يتفحص الدور الذى لعبته هذه البلاد فى خدمة المدنية وتقدمها ، فهو من الوجهة الأخرى بعيد فى بعض نتائجه عن أن يسر خاطر الطبيب المصرى الذى يود لوأن مصر وفىا نيلها العظيم كانت قد انحرفت عن مكانها هذا بضعة من خطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضية لتكون بذلك أعز مثالا وأهدأ بالا ، ذلك أن مصر صارت بسبب هذا المركز مجتمعا لبنى الانسان من كل جنس ودين، وناديا للشعوب من كل جنس ودين ، وناديا للشعوب من كل سحنة ولون ، وواسطة لتآلف البشر فى صعيد واحد مهما اختلفت مشاربهم ، فإنها كذلك صارت باجتماعهم فى ارجائها وسهولة مواصلاتها ولياقة جوها ، بيئة صالحة لمعظم أمراض تلك الأجناس والشعوب ففيها علل ممالك الشمال وأمراض المناطق الاستوائية ، وصار من أهم ماتتعرض له بحكم جغرافيتها مايمكن أن يعصف بها من رياح الأوبئة التى تهب من مختلف تلك الأنحاء .

ويضرب الدكتور على إبراهيم المثل على ذلك بما يحدث عندما يأتى النذير بوباء فى أى جهة من العالم ، لأن مصر هى قنطرة العالم ، وهى بهذا أقرب إلى غيرها وهنا تضاعف واجبها من هذه الناحية دوليا .

حوالى سنة ١٩٦٠ إلى موقف صعب المراس من هذه الوجهة ، وإذا علمنا أن تمكين الجماهير من سهولة الحياة والحصول على العيش له صلة عظمى بصحة الأمة عامة . وإذا تذكرنا مثلا أن أوبئة التيفوس والحمى الراجعة وغيرها تلازم الأزمات المالية لضعف مناعة الأجسام عند الجوع والتعب لرأينا مقدار سرورنا بما نلمسه الآن من تفتح الأذهان لهذه المعضلة الاجتماعية الكبيرة بما نشاهده من تشجيع الصناعات وتحسين طرق الرى والصرف ، وإصلاح الأراضى البور ... والإكثار من مصايد الأسماك ... الخ .

زيادة المواليد نتيجة لأزدياد الوفيات لها العكس :

يؤمن كثير من علماء الصحة ، والسكان أن ازياد وفيات الأطفال هى نتيجة لازمة لزيادة المواليد ، ولكن على باشا إبراهيم لا يوافق هؤلاء على رأيهم ، ويرى أن القاعدة الصحيحة هى العكس ، أى أن « ازدياد المواليد هو نتيجة طبيعية لإزياد الوفيات بين الاطفال » ووجهة نظره فى هذا أن « الطبيعية تتبع فى هذا الشأن كعادتها فى كثير من شئونها قانون العرض والطلب ، فتحاول بزيادة من ترسلهم للحياة أن تملأ تلك الثغرات الواسعة فى صفوف الأمة ، أى أن تقدم ماهو مطلوب من الأيدى العاملة للمجتمع المحتاج إليها ، والنتيجة المنطقية هى أننا يجب علينا أن نضع نصب أعيننا وفى رأس أعمالنا مكافحة وفيات الأطفال ، فهى السبيل القويم لتكوين سكان بلادنا تكوينا نافعا ، ولا موجب لأن نخشى من ازدياد المواليد ، اذ هو عارض حيوى طبيعى يزيد ويقل تبعا لمقتضيات القواعد

(٢) أما مناخ مصر ، وهو الذى يتسلل رويدا من مناخ المناطق المعتدلة فى الشمال إلى مناخ المناطق الاستوائية فى الجنوب، فأنه يهيء فرصة نادرة للحياة ليس للإنســان والنبات فحسب بل كذلك لتلك الأشكال العديدة من الكائنات التى لايطيب لها عيش ولامقام إلا فى جسم الانسان والحيوان وهى الميكروبات وكذلك الطفيليات التى تحتاج لمثل هذا الجو الرطب الدافىء لتنعم بالقواعد والتكاثر مثل الإنكلستوما والبلهارسيا وغيرهما ، وخصوصا فى بلادنا الزراعية التى تهيئ بأديمها الرطب وسطا صالحا آخر لحياة تلك الطفيليات فى أدوار تكوينها .

(٣) والطفيليات فى نظر الدكتور على إبراهيم أخطر من الأوبئة « لأنها تصيب الملايين من الناس فتعمل سمها فيهم ببطء وتضعف مواهبهم البدنية والعقلية على مر السنين فتتأثر القوة العاملة فى الأمة عامة فضلا عن أن كل مجهود يبذل لشفاء المريض لايمنع عودتها إليه ، إذا تعرض لعدوى جديدة منها .

ويستمد الدكتور على إبراهيم مثلا من ثقافته التاريخية فيذكر أن هذه الأمراض الطفيلية تؤدى إلى تأخر الشعوب والممالك ، مثلما كانت الملاريا من أسباب اضمحلال الأمة الرومانية العظيمة « وكما أنه من الراجح أن البلهارسيا والإنكلستوما والملاريا وغيرها كانت من أهم الأسباب فى هبوط الهمة فى الممالك الشرقية .

سكنى الريف وسكنى المدن :

يلفت الدكتور على إبراهيم النظر إلى أن سكنى المدن – وأن كانت فى أصلها تقصر العمر وتدنى الأجل لتعرض الانسان فيها لمختلف العوامل المؤذية كسوء المساكن والازدحام وكثرة التعرض لعدوى الأمراض الوبائية والحوادث والجرائم ، وكثرة انتشار الموبيقات ، وأمراضها ، وإدمان الخمر والمخدرات وتقلقل الأبدان من ضوضاء المدن وأصواتها المزعجة . فإنها فى كثير من الأحيان تصبح أسلم وأفضل من سكنى القرى التى يتمتع أهلها بالهواء الطلق والشمس والسكون وطول العمر .

ويرجع على إبراهيم السبب فى إنقلاب القاعدة فى بلادنا والبلاد النامية إلى أن المدن أقرب إلى أنظار الحكام ، وهى المجال الأول لنشاطهم وعنوان افتخارهم ، ولأن أهلى أغنى من الريفين بصناعاتهم ، وأكثر منهم تثقيفا ومعرفة وأكثر خبرة بأمورهم وأحوالهم .

ولكن على باشا إبراهيم مع هذا غير راضٍ عن المستويين الصحيين فى الريف وفى المدن ، وهو يشير إلى سوء السكن « بيوتهم المظلمة .. بل أنهم للاسف يجدون فى جوانبها محلا لإفراغ محتويات أمعائهم لإنعدام المراحيض فى بيوتهم فيزيدونها سوءا على سوء » ، ومن عجب أن يكون لنا نظام يتحكم فى مساكن الحيوانات بينما لاتزال قوانين المبانى ناقصة فى حين أن المسكن يستنفد من أعمار الجميع ومن حياتهم أغلبها .

الإصلاح الصحى :

ويبدى الدكتور على إبراهيم سعادته لاتساع نطاق التعليم والمدارس فذلك يساعد بالإضافة إلى القضاء على الجهل (وهو من أخطر الأمور على الصحة ، على إتاحة الفرص لنشر المناعة ضد الأمراض المختلفة بالتطعيم وغيره من وسائل الحصانة .

ويدعو الدكتور على إبراهيم فى مرحلة مبكرة اهتماما زائدا بضرورة الأخذ بنظام التأمين الصحى على العمال فى المصانع .

ويطالب بوضع القوانين الوافية بتحسين أحوال البيئة فيما يتعلق بالتخطيط والتهوية وجمع القمامة والتصرف فى فضلات الحيوانات والكناسين وملاحظى الصحة ومشاريع المياه المرشحة وتوزيعها والزائرات الصحيات ، فى القرى ... الخ) .

ويعقب الدكتور على إبراهيم فى إحدى محاضراته بعد أن عدد جوانب الإصلاح الصحى التى يراها ضرورية فى مصر فيقول : « ويخطىء من يستعظم تنفيذ مثل هذه الاصلاحات فى بلادنا أومن يدخل فى روعه أن جمهورنا غير جدير أو غير مستعد للسير على هذه الإصلاحات ويكفى دلالة على امكان النجاح مانراه الآن من أثر له فى مكافحة الآفات الزراعية كدودة القطن والجراد ... الخ) .

ويختم الدكتور على إبراهيم إحدى محاضراته بقوله : «ان ضروب الإصلاح الحقيقى التى تحتاجها بلادنا واسعة ، ولم أحاول غير لفت

نظركم إلى بعض النواحى الهامة من بينها ، موقناً أن العهد الذى تتفتح فيه أبصارنا لتلك الأمور السياسية والسعى فى معالجتها بروح الإقدام والعزيمة ومساعدة القائمين بأمرها ، سيكون صحيفة جيدة فى تقدم هذه الأمة ورخائها !... وليس الوطن بأرضه وسمائه فحسب ، بل كذلك بأهله الأصحاء الأقوياء .

المستقبل للهندسة :

كان الدكتور على باشا إبراهيم هو أول رئيس للمجمع المصرى للثقافة العلمية ثم خلفه فى الدورة الثانية حسين سرى باشا المهندس المصرى الكبير ، وقد عبر الدكتور على إبراهيم فى تقديمه لسرى باشا عن إعتقاده فى أن المستقبل للهندسة فى عبارات بديعة إذ يقول : « وإذا كان للثقافة العلمية أن تعتمد فيما مضى على الطب أولا ، فما أحوجها اليوم إلى أن تخلى هذا المكان للهندسة ، فالهندسة قد احتلت كل مكان وتطاولت بفروعها حتى نفذت إلى كل شئ ، وحتى أوشكت ألا تبقى لغيرها من أسباب العلم شيئا قد احتلت وجه الأرض ، وبلغت أعنة السماء، وماكت مناكب البحار ، وغاصت فيها إلى أعمق قرار ، وهذا الطب نفسه مدين لها بما أخرجت له من آلات مختلفة كانت أكبر عون على مابلغ من إنشاء اليوم فاذا قدمت إلى حضراتكم حسين سرى بك فلا لأعرفه الكم ولكن لأهنئكم وأهنئ به نفسى » وهكذا يتضح إلى أى حد كان تفكير على باشا إبراهيم نفاذا ، حتى فى المجاملات .

نشر الثقافة العلمية نوع من الحسبة :

كانت للدكتور على باشا إبراهيم جهود كبيرة فى إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية حتى عرض مشروع إنشاء المجمع وتمت الموافقة عليه فى بيت على باشا إبراهيم فى العاشر من يناير سنة ثلاثين وتسعمائة والف . وكان الدكتور على إبراهيم يعتقدأن نشر الثقافة العلمية ضرب من الحسبة ، والمحتسب للخير لاينبغى أن يلقى فى سبيله عسرا ، لهذا كان الدكتور على إبراهيم ملما حريصا على أن يسهل عضوية المجمع على من يبتغى الخير ، وبنفس المنطق كان جراحنا الكبير يسوس أمور العلم والثقافة والجامعة .

العروبة :

كان على باشا إبراهيم مهتما أشد الاهتمام بتحقيق الوحدة العربية، وقد سبق فى هذا الاهتمام السياسيين ، كما فصلنا القول فى ذلك فى الباب الأول ، ولم يكن هذا نتيجة عقيدة سياسية إعتنقها الرجل وهو رجل العلم الذى أبعد نفسه عن السياسة ، ولكن إيمانه بالعروبةجاء نتيجة لعلمه الذى أقنعه بأهمية إجتماع أهل اللسان الواحد على العلم المشترك بينهم يتعاونون فى سبيله . ومن هنا كانت فكرته التى نفذها فى لمح البرق وبريق النجاح حين دعا إلى عقد المؤتمرات الطبية العربية وعقدها ، وحين عقد هذه المؤتمرات مؤتمراً بعد الآخر فى مدنالوطن العربى المختلفة :

وعندما افتتح على باشا المؤتمر الطبى (١٩٤٤) قال : أيهاالزملاء أحييكم بالثلاثة وعدد الثلاثة فكن : تحية الضيافة وتحية العيد وتحية العروبة ، ثم إستطرد فقال " العروبة سواء أكانت عاربة منذ بنى قحطان أو مستعربة منذ بنى عدنان... العروبة بعصورها الأربعة السالفة وبعصرها الخامس الذى بدأ بمحمد على .. العروبة لغة فهو أى قريش – وهى أقرب اللغات السامية إلى أصلها – هى العروة الوثقى التى تضم الناطقين بالضاد كافة فى ثوب قشيب فضفاض يتسع لكل حركة فيها بركة .

العروبة أيها الزملاء ليست فقط لغة الأدب والأدباء ، ولكنها كذلك لغة الطب والأطباء ، يدل على ذلك . . . . ، ويمضى فى تعداد أدلته ، ويختم بالحديث عن المؤتمرات الطبية العربية ، وكيف أنها سبقت فى توحيـــد الجهود العربية جهود رجال السياسة .

وحين إفتتح المؤتمر الطبى العربى الإسلامى (١٩٤٥) فى مدينة دمشق ذهب يعدد أفضال البلاد العربية وحضاراتها على الإنسانية ، فذكر ما كان لمصر مهد المدنية من فضل فى التحنيط وما تقتضيه من العلم المحيط بالأصباغ والأحماض والأملاح والأصداء والعضويات وقرر أن الطب المصرى لم يقف دون بلوغه القمة إلا تحريم التشريح حسب الديانة القديمة ، وإستطرد على باشا إلى فضل الفينيقيين على الحضارة وأشار لأحفادهم مشيداً بفضلهم فى إنشاء المستعمرات العديدة فى أنحاء

المعمورة غير ناظرين إلى إمتلاكها السياسى والحربى ، الأمر الذى لاتزال تفكر فيه الديمقراطيات الحديثة ولم تنته فيه بعد إلى قرار والتفت على إبراهيم إلى تبيين أوجه التعامل والتكامل بين مصر وبلاد الشام فى عصر النهضة الحديثة ، فأشار إلى أن إبراهيم باشا كان أول من حمل الطب الحديث إلى سوريا حيث أسس المستشفى العسكرى بدمشق ، وأخذ على باشا يعدد جهود الشوام فى نهضة مصر والعروبة فشبلى شميل أول من أنشأ مجلة طبية راقية هى الشفاء ، والقس بولس هو أول من ترجم محاضرات الأساتذة الفرنسيين الذين أتى بهم كلوت بك لتعليم الطلبة المصريين الطب ، إلياس المسابكى هو الذى أنشأ حروف الطباعة العربية فى مطبعة بولاق ، وأحمد فارس الشدياق هو صاحب الفضل فى تحويل الوقائع المصرية من اللغة التركية إلى اللغة العربية ، وبطرس البستانى هو أول من وضع دائرة المعارف العربية ، وسليم النقاش وأديب إسحق أنشأ جريدة «المحروسة»، وكذلك أسس سليم تقلا «صدى الأهرام» والمنارة « و «الأهرام «وأديب إسحق هو أول من ترجم الروايات على الأسلوب الإفرنجى بلغة عربية راقية ، والأمير بشير اللبنانى هو أول حليف لمصر فى نهضتها الحديثة . . . . .
وبعد أن انتهى على باشا من درس الماضى نبه إلى الدور الذى يمكن لأبناء الشام لعبه فى النهضة العربية الحديثة بترجمة وتلخيص الكتب العلمية العالمية ، وبخاصة أنهم يحذقون هذه الملفات بعد تعلمهم فى جامعتى بيروت الأميريكية والفرنسية .

وإذ افتتح على باشا إبراهيم المؤتمر الطبى العربى السابع فى القاهرة (١٩٤٥) كانت الحرب العالمية قد وضعت أوزارها ، والجامعة العربية قد أخذت طريقها إلى الوجود وفى هذا كان قول على باشا إبراهيم : « ولقد صهرتنا بوتقة الأحداث فأصبحنا معدناً واحداً ينتفع به كل من عرف سره لقد أصبحنا كالحديد يبتاع منه الضعيف ليكثر دمه . . ويصفح به القوى بوارجه ودباباته . . وما دمنا متحدين فنحن للصديق الدواء ونحن العدة ولكننا ، فى اتحادنا وقوتنا المنشودة لا نتحدى ولا نتعدى ولا نتخلى عن فلسفاتنا التى كانت يوماً ما موضع سخرية واستهتار وكفى أننا طلاب إتحاد وصداقة وتعاون ، وأن غيرنا طلاب فرقة وعداوة وتدمير » .

لاتقدم للعروبة إلا بالعلـــم :

وهذا المعنى لم يفتأ الدكتور على باشا يفيض فيه ، يحث عليه شباب العرب لا شيوخهم ، ومن أبلغ عباراته فى هذا المعنى قوله فى ختام أحد المؤتمرات العربية التى أقيمت فى القاهرة : « الآن بعد إنتهاء الحرب وجب على الشباب منكم بعد أن يرتووا جميعاً من النيل ، ويزوروا الآثار الفرعونية والعربية فى القاهرة وغيرها أن يعملوا المســتحيل ولا مستحيل بعد الآن فى ورود مناهل العلم التى تفجرت فى أوربا وأمريكا . فليتحملوا الجوع والعطش وشظوف العيش فى سبيل البحث عن العلم الجديد لا ليتكلوا بالضعف ويذلوا القوى ولكن — على

العكس – لينقذوا الإنسانية التى تعذبت ، لقد كانت ست سنوات عدا ولكنها تضارع سنين تقتيلا وهدآ » .

آراء فى السياسة الدولية :

وعلى باشا يعبر عن أمله فى أن يسود السلام والاستقرار ربوع العالم ، لأن هذه هى روح الطب والإنسانية ، وفى كلمته أمام المؤتمر الطبى الذى عقد فى أسوان (١٩٤٢) ، والحرب العالمية قائمة يقول : على إبراهيم : « ان خسارة الإنسانية هذه – بسبب الحرب – هى أمر نشعر به نحن الأطباء ، ونحزن من أجله أكثر من سوانا فالطبيب بموجب مهنته يعيش بين الآلام البشرية ويعرف عذاب الأبدان والأرواح ، ويتمنى لو أن العلل والأمراض ذاتها قد زالت من الوجود ، فلا عجب أن تتألم نفوسنا لماترهقه الحرب دون مبرر من أرواح المحاربين أو تشوه من أعضائهم ، وما تؤدى له فى غير المحاربين من ضنك وقحط يساعدان على تفشى الأمراض وزيادة الوفيات وما تثيره من مشاكل عويصة ترهق قوة الحكومات وعزم الشعوب » .

ثم يعقب بخفة دمه فيقول : « بل لا عجب – سيداتى – سادتى – أن يتمنى الكثيرون منا أن تكون أقدار الأمم والأقطار موكولة إلى الأطباء وليس لرجال السياسة حتى يجنبوا الإنسانية هذه الضحايا ، ويجدوا سبيلا آخر غير إراقة الدم لبعض المنازعات الدولية وإعطاء كل ذى حق حقه فى هدوء وسلام » .

وفى موضع آخر يتحدث الدكتور على إبراهيم عندما وضعت الحرب العالمية أوزارها قبل وفاته بقليل وبرزت مشكلة فلسطين فيعقب فى كلمته فى المؤتمر العربى (١٩٤٥) على الأحداث المعاصرة ويقول : « ليس بين أطباء العرب من يسخر معرفته للفتك ، وبيت المقدس أليس يقدسه المسلمون والنصارى واليهود على السواء ! ففيم يتنازعونه ، أما كان الأولى أن يكون كعبة يحج إليها الجميع وتنسى لديه الخصومات ، او أن رجال الدين والسياسة والمال تضافروا على هذه الأمنية لكانت البلاد العربية ولكان العالم جنة عرضها السموات والأرض ، ولكنى أرى العالم فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » .

ثم لخص الدكتور على باشا إبراهيم أروع الفلسفات فى أمر السلام العالمى فقال : « ولا زلنا من حسن الحظ أو من سوء الحظ ننتظر العدل والسلام من الأقوياء ولو دفعنا العربون سلفا ، وسندفع بعد تحقيق العدل والسلام أضعافا مضاعفة ، ولكنا نعوذ بالله وبهم من يوم تصبح فيه هذه الآمال الحلوة كسراب « بقيعة » يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

الباب الثالث

على باشا ابراهيم
وتاريخ التعليم الطبى فى العصر الحديث



يعرض هذا الفصل لعلى إبراهيم والتعليم الطبى فيعرض آراءه فيه بالقدر الذى عرض به جهوده ، وقد رأينا أن نمضى فى ترتيب هذا الفصل على نحو تاريخى يبتدىء قبيل إنشاء التعليم الطبى فى مصر الحديثة فى أوائل القرن الماضى ، وسوف يكون مرجعنا فى آراء على باشا إلى محاضرته فى المجتمع المصرى للثقافة العملية ، وإلى مقالاته فى المجلة الطبية المصرية ، وإلى كلماته التى افتتح بها عدداً من مؤتمرات الجمعية الطبية ، والمؤتمرات الأخرى وإلى كلمته التى ألقاها فى نهاية حفل التكريم الذى أقامته له الهيئات الطبية المختلفة عند بلوغه الستين .

التعليم الطبى فى عهد محمد على (كلوت بك) :

برزت حاجة محمد على إلى الطب ، عندما أنشأ الجيوش المصرية الحديثة ، ولم يكن بد من وجود الأطباء والمستشفيات ، فأنشئت مصلحة طبية عسكرية واختير كلوت بك سنة خمس وعشرين وثمانمائة وألف (١٨٢٥) ليكون على رأسها .

كان كلوت بك فرنسياً ، وكذلك كان معظم أطباء الجيش ، ويرجع إلى أن محمد على رأى فيهم خبراء بأحوال مصر التى كانوا فيها عن قريب أثناء حملة نابليون حيث درسوا وبحثوا وكتبوا بالإضافة إلى أن الأحوال السياسية فى فرنسا لم تكن مستقرة مما شجع هؤلاء على القدوم إلى مصر والبقاء بها والإهتمام بأمرها .

أنشأ كلوت بك مصلحة الصحة ومصلحة الحجر الصحى وعدداً من المستشفيات فى الإسكندرية ورشيد ودمياط والعريش والقصير وعواصم المديريات ، ومستشفى مركزياً عاماً فى أبى زعبل . فاتجه الناس إلى هذه المستشفيات وظهرت حاجة الناس إلى الطب ، ولم يعد الطب مقصوراً على الجيش ولكنه تعداه إلى الشعب كله وظهرت الحاجة إلى إنشاء مدرسة طبية تخرج للبلاد الأطباء الذين يقومون بهذا الواجب .

كتب كلوت بك إلى عثمان بك نور الدين وكيل الحربية يقترح إنشاء مدرسة طبية تقوم بجانب مستشفى أبى زعبل وأكد فى كتابه أن المعاهد العلمية لا تكون طويلة العمر ثابتة على الزمان ، تؤتى ثمارها دانية جنية إلا إذا كانت مستقلة عن الأجانب الذين قد تحول منافعهم أو مطالبهم دون المحافظة التامة على منافع البلاد الحقيقية بمحض النصح لها وصدق العزم فى خدمتها .

إفتتحت المدرسة فى أبى زعبل بجوار المستشفى العسكرى المركزى العام سنة سبع وعشرين (١٨٢٧) ، وألحق بها مائة طالب انتخبوا من بين طلاب الأزهر واختير لها ثمانية من أطباء الجيش الفرنسيين على رأسهم كلوت بك ، وأختير لهم بالإضافة إلى هؤلاء مترجمون كانوا يتولون الترجمة بين الأساتذة بفرنسيتهم والطلبة بعربيتهم وكانت الترجمة وسيلة العلاج الوقتى ، وإلى جوارها كانت مدرسة أنشئت إلى جوار المستشفى لتعليم الطلبة الفرنسيين فى أوقات فراغهم بالإضافة إلى المدرستين كانت هناك مدرسة ثالثة يمكن

أن نطلق عليها تجهيزية كانت تتولى اعداد الطلاب الآخرين « من أعمار أقل » بالعلوم الأولية ليدرسوا الطب فى المستقبل .

كانت مدرسة الطب فى أبى زعبل تسير على نهج مدرسة باريس الطبية وكتبها ونظامها المقسم إلى سنوات ست.

وهكذا تغلب كلوت بك على العقبات الكؤود التى واجهته فاستطاع أن يمضى بالمدرسة قدماً إلى الأمام ثم أنه استطاع أن يقنع رجال الدين واحداً بعد الآخر بأهمية التشريح وما زال بهم حتى استصدر الفتوى بإباحته .

وأصبح لمدرسة الطب متحف غنى للتاريخ الطبيعى ، ومكتبة غنية بالكتب التى أهداها أساتذة باريس ومونبليه إليها .

وبدأت البعثات فى سنة اثنين وثلاثين (١٨٣٢) فأختير اثنا عشر طالباً من أنجب النابهين فى الامتحانات النهائية وأعيدإمتحانهم فى باريس فأظهروا نبوغاً كان محل تقدير ، وظلوا فى باريس يدرسون حوالى تسع سنوات ، وظلت البعثات تتوالى بحيث لا يكون هناك فى أوربا أقل من اثنى عشر طالبا وبحيث لا يسند منصب الأستاذ فى المدرسة إلا إلى من كان حاصلا على أعلى الدرجات العلمية وقضى خمس سنوات مساعداً لأحد الأساتذة الكبار .

وعاد هؤلاء فقاموا بأمر الطب والصحة والتعليم والتأليف والتدريب فكانوا أس النهضة الطبية الحديثة وفخرها .

على باشا إبراهيم لا يفتأ يتحدث بفخر عن هؤلاء الرواد الأوائل ويلخص رأيه فيهم فى قوله أنهم قد «توافرت لهم كل العناصر التى التى يتطلبها النبوغ فلم يكن بد من أن ينبغوا وقد صاروا نوابغ حقا . ولكن ما هى هذه العوامل !

١ — التمكن من اللغتين العربية بحكم دراسة الأزهر والفرنسية بحكم الإقامة فى فرنسا تسع سنوات .

٢ — الإخلاص لوجه العلم بين الطلبة والأساتذة .

٣ — سبق تعلم هؤلاء على الطريقة الأزهرية وقد كان على باشا إبراهيم معجباً بهذه الطريقة مقدراً لها من حيث انها لا تعنى بالحفظ قدر ما تعنى بتوسع الملكات ولا تتقبل قضايا العلم إلا بعد إعتصار الذهن فى تحقيقها من جميع أطرافها .» وكان على باشا إبراهيم يرى أن هذه هى الطريقة الجامعية المثلى .

٤ — الانقطاع للعلم والتجرد لطلبه ، لأنه لم يكن أمامهم سبيل غير ذلك فهم مأخوذون فى حياتهم التعليمية بنظام عسكرى لا هوادة فيـــه .

.. ثم يلتفت على باشا إبراهيم ليدحض عن هؤلاء الرواد ما أخذ عليهم :

١ — يأخذون عليهم أن إنتاجهم العلمى كان ضئيلا — ان لم يكن معدوماً — وهذا مردود عليه بأنهم قاموا بالواجب عليهم وزيادة ،

أولاً لأنهم بدأوا كما بدأ العرب فى مطلع نهضتهم مترجمين ، فبعد إثنين وعشرين من تاريخ إنشاء المدرسة ترجموا ستة وثمانين مؤلفاً من أحسن الكتب الطبية المعتمدة وأشهرها ، ولم يترجم مثل هذا القدر لا فى عصر المأمون ولا فى أية أمة من أمم الشرق .

ثم أن أسلوبهم فى الترجمة أحسن وأضبط مما كان فى كل العصور إلى الآن ، وذلك بالطبع لتضلعهم فى علمهم وفى اللغتين . .

ثانياً : لأنهم شغلوا فى كثير من الأحياء بالقيام بواجبهم الإنسانى والوطنى إذ كانت بلادهم تنتابها الطواعين والأوبئة وتفتك الأمراض بأهلها أشد الفتك والجهل مخيم على بلادهم فلم يكن عملهم سهلا ولا ميسوراً ولا بد أنهم قد بذلوا جهود الجبابرة ليحاربوا كل هذه العوامل مجتمعة .

٢ ـ ويعيبون هذا العهد بأنه إذا إستثنينا متخرجى الإرساليات لم نجد ذكرى ولم نقع على إسم لأحد من المتخرجين المحليين ، وهذا طبيعى ، فالإرساليات كانت دائماً من نصيب النابغين ، ولقد نسى هؤلاء الناقدون أن المدرسة إنما أنشئت بادىء الأمر لتخريج أطباء للجيش فقط ، وكانت المملكة المصرية فى حروب وفتوح متواصلة ، فكثير من هؤلاء قضى نحبه اما فى السودان أو بلاد العرب أو الشام ومنهم من كانت نهايته فى قاع البحر الأحمر أو الأبيض أو الأسود .

•• ويعود على إبراهيم باشا ليذكر لهؤلاء الأطباء الرواد أفضالهم :

١ ـ فقد سجلوا لأنفسهم على وجه التاريخ أبلغ الفضل فى نقل مصر والبلاد الشرقية المجاورة من علاج العصور الوسطى المسمى بعلم الركه إلى العـــلاج بوسائل العلم الحديث .

٢ ـ ومن حيث متانة العلم وغزارة المادة فقد كانوا فيها بمنزلة ســـواء كلهم قدموا وسائل للحصول على درجة الدكتوراه وكلها كانت فى موضوعات مبتكرة ولكنها مع الأسف الكثير لم تصل الى يدينا وليس لها أصل محفوظ فى مكتبة المدرسة .

٣ ـ بعض هذه الوسائل مؤلف مبتكر ، ورسالة محمد على البقلى فى داء الفيل العربى « «Le Elephantise des Arabes» لا تزال إلى الآن المرجع الأوفى لهذا الغرض .

•• ونعود مع على إبراهيم لنلقى بعض الضوء على التطورات التى صاحبت المرحلة الأولى من نمو مدرسة الطب :

١ ـ فقد زيد عدد الطلبة إلى ثلاثمائة بعدما تبين للحكومة أن عدد الخريجين لم يعد كافياً لسد حاجة البـــلاد « بلغ عدد الخرجين حتى ١٨٣٧) (٤٢٠ طبيباً) .

٢ ـ نقلت المدرسة المستشفى إلى قصر العينى بعد إزالة المعسكر الذى أنشىء لها فى أبى زعبل .

٣ ـ أفتتحت عام ثمان وثلاثين (١٨٣٨) مدرسة للقابلات تحت إشراف سيدة فرنسية ، وكانت هذه هي المدرسة الأولى من نوعها في الشرق ، وكانت الدراسة فيها خمس سنوات وبلغ عدد الطالبات في الدفعة الأولى في المدرسة عشرين طالبة . . وكان هذا تحولا كبيراً نحو النهوض بالخدمة الصحية وقد تغلبت الحكومة بواسطة خريجات هذه المدرسة على الصعوبة القائمة في سبيل التطعيم ضد الجدري . . . إلخ) .

٤ ـ ظل مستوى الإمتحانات في المدرسة رفيعاً ، وكان يؤتى بالأساتذة الفرنسيين لمباشرة الإمتحانات وبهذا ظل مستوى المدرسة موازياً للمستوى الأوربي .

التعليم الطبي في عهد عباس الأول :

ترك كلوت بك رئاسة المدرسة سنة تسع وأربعين (١٨٤٩) ، وخلفه في منصبه « دوخينو » ثم بيرون بك ثم شافعي بك الطبيب الخاص للخديوي عباس الأول الذي تولى الحكم سنة أربع وستين (١٨٦٤) . .

كان عباس الأول يبغض كل البغض كل ما هو فرنسي ، وهذه حقيقة معروفة عنه ، كان منه حين تولى الحكم إلا أن أهمل شأن المعاهد التي تأسست على أيدي الفرنسيين ، وتحت ستار الدعوى إلى الإصلاح (وهو الستار الذي غطى على تصرفات كثيرة في عهد

عباس الأول بينما الواقع أن هذه الخطوات لم تكن تهدف إلا إلى بث الإنحلال فى كل الصروح التى قامت عليها النهضة الحديثة) دعى بعض الأساتذة من ألمانيا ، وعهد إليهم بتنظيم الدراسة من جديد فطلب إرسال بعثة علمية إلى ميونخ كبعثة محمد على إلى باريس ورأس هذه البعثة (Lavntey) الذى عاد بعد ذلك ليرأس المدرسة ومعه بلهارس مدرساً للتشريح فاكتشف بلهارس دودة البول الدموى التى سميت باسمه .

وكلف بلهارس بعض الطليان المقيمين بمصر فاستوفدوا له اثنين من أساتذة جامعة فلورنسا هما الأستاذ راجى والأستاذ رانز وقد عمل الأول طبيبا خاصا للخديو عباس الأول ومدرسا للباثولوجيا والأمراض الباطنة ، ورأس الثانى مصلحة الصحة والمدرسة وبقى إلى وفاة عباس الأول (١٨٧٢) .

ويقرر على باشا إبراهيم فى صراحة أن مدرسة الطب فى هذا العهد لم تتقدم إلى الأمام ولم تخط مثل خطواتها السابقة رغم جهود من قاموا على شأنها من الأساتذة الأجلاء الذين جىء بهم من الخارج وزملائهم المصريين الذين تمت لهم البراعة والكفاية فى كل فرع ولم يكن هذا إلا بسبب تعديل النظام سنة بعد أخرى وادخال التبديل والتحويل على الإدارة وعلى لغة التعليم فى المدرسة وعدم الإستقرار على حالة معينـــة .

التعليم الطبي في عهد سعيد :

بلغ يأس سعيد من إصلاح حال المدرسة حداً جعله يوقف الدراسة فيها عدة شهور وانتهى الخبر إلى كلوت بك وهو شيخ طاعن في السن ، فبادر الى الحضور يهنىء الوالي ويرجوه إعادة إفتتاح المدرسة .

وافتتحت المدرسة مرة ثانية في سبتمبر ١٨٥٦ و كلوت بك على رأسها ، غير أنه سرعان ما استغنى نظراً لإعتلال صحته وخلفه الأساتذة فمبري حتى (١٨٥٨) وبورجريه حتى (١٨٦١) وأرنو بك.

التعليم الطبي في عهد الخديوي إسماعيل (محمد على باشا البقلي) :

كان الخديوي إسماعيل كما عرف عنه مشغوفاً بالرقى ، وسرعان ما إستدعي الأستاذ بورجريه لدراسة حال الكلية ، وقد قدم هذا تقريراً شاد فيه بتقدم العلوم الطبية في مصر ونوه بذكر من فيها من الأساتذة البارعين والمؤلفين المقتدرين من أبناء البلاد وذكر أنه قد حان الوقت الذي ينبغي أن تسند فيه رئاسة المدرسة الى أحد مشاهير الأطباء المصريين الذين يجب أن يتحملوا المسئوليات بكل ثقة واطمئنان ، ومن ثم عين الجراح الشهير الدكتور محمد على البقلي باشا ناظراً للمدرسة سنة ثلاث وستين (١٨٦٣) ، ولبث في هذا المنصب حتى عام تسع وسبعين (١٨٧٩) .

ويرى على باشا إبراهيم أن هذا العصر يعد بحق من أزكى عصور المدرسة وأزهرها وأن ثمرته تعود إلى الإرساليات الأولى التي أرسلها

محمد على فقد صار هؤلاء مع الزمن والعمل والخبرة أساتذة كباراً فخطت المدرسة بجهدهم وكفاياتهم خطوات واسعة وأصبحت مثابة لطلاب العلوم الطبية فى الشرق .

وكان التعليم كله بالعربية وعلى ست سنوات وإن كان عدد المدرسين عشرين كلهم من المصريين الا واحداً هو الدكتور جاسائل وكانت المدرسة تبعث فى كل عام بأوائلها يستكملون دراساتهم فى أوربا وكان الأساتذة يترجمون أحسن المؤلفات العصرية الأوروبية وينشرونها بين طلابهم .

ولعله من الطريف أن نذكر هنا أن أول صحيفة عرفتها مصر كانت هى المجلة الطبية الأسبوعية التى كان هؤلاء الأساتذة يصدرونها تحت إسم « اليعسوب » ينشرون فيها بحوثهم وملخصاً لأحدث الأبحاث المنشورة فى المجلات العلمية الأجنبية ، وهكذا كان كل أستاذ يقوم بكتابة وترجمة مواد تخصصه بحيث تصبح تطورات العلم كله تحت أيديهم جميعاً ، بل وتحت يد جمهور المثقفين .

ويدلل الدكتور على إبراهيم على إرتفاع مستوى هؤلاء الأطباء بالإشارة إلى بحوثهم المبتكرة ، فقد ألف محمد على باشا البقلى ، وسالم باشا سالم وإبراهيم حسن ، ومحمد علوى ، وخورشد بك ، وأحمد ندى بك كتباً دولية المستوى فى الطب .

ثم يروى على باشا إبراهيم بأسف شديد قصة الخلاف الذى نشب بين محمد على باشا البقلى وعلى باشا مبارك وزير المعارف ، مما أدى

إلى اعتزال البقلى باشا إدارة المدرسة وإسنادها إلى جولارد بك حتى سنة إثنتين وثمانين (١٨٨٢) .

التعليم الطبي فى عهد الخديوى توفيق (عيسى حمدى باشا)

ينبغي للباحث أن يقف هنا وقفة صغيرة يوضح فيها أن كتابة تاريخ عهد أسرة محمد على لم ينله التحوير والتدوير بعد ثورة ١٩٥٢ فحسب ولكن توجيه التاريخ قد حدث له من قبل مراراً ، فقد كان فاروق بن فؤاد وكان فؤاد بن سماعيل ، .

وقد خلف توفيق على عرشه إبنه الخديوى عباس حلمى الثانى الذى عزلته إنجلترا مع بدايات الحرب العالمية الأولى وأقامت مقامه السلطان حسين كامل شقيق فؤاد وشقيق توفيق وابن إسماعيل .

وكان الجو السياسى فى عهد فؤاد وفاروق ومن بعده يملى على الكاتبين والمؤرخين توجيه العناية إلى محمد على باشا رأس العائلة وإلى إسماعيل وفؤاد وفاروق مباشرة فقد ظل فرع توفيق من الأسرة العلوية يطالب بالعرش ويرى أنه من حقه الطبيعي وقد ظل الخديوى عباس حلمى الثانى على هذه الحال حتى أوائل الثلاثينات عندما تنازل رسمياً ، وكذلك كان الحال مع شقيقه الأمير محمد على توفيق الذى آلت إليه ولاية العهد مرتين .

فلا غرابة إذن أن نجد فى كتابات على إبراهيم إشارة صادقة بالتواريخ إلى كل التطورات ولكن مع تكيف ضئيل جداً مع روح

العصر نجد فيه الإشارة واضحة عند الحديث عن محمد على أو إسماعيل ولكنك لا تجدها بنفس الوضوح عند الحديث عن توفيق أو إبنه .

وكذلك تجد فى كتاب الدكتور نجيب باشا محفوظ عن التعليم الطبي فى مصر وفى سائر ما كتب قبل الثورة ، بل وبعدها ، لأن ما كتب بعدهما لم يكن إلا نقلا صريحا عما كتب من قبل .

ليس معنى هذا أن لتوفيق أو لعباس حلمى فضل مباشر أو رأى شخصى تطور بسببه التعليم الطبي ولكنه على كل حال عصرهما ووزراؤهما وجوهما وبيئتهما .

ونعود إلى موضوعنا فنجد أن العالم الكبير عيسى باشا حمدى قد تقلد رئاسة المدرسة والقصر سنة إثنتين وثمانين (١٨٨٢) ، وكانت لعيسى باشا حمدى منزلة كبيرة عند أولى الأمر أتاحت له أن يحدث التطورات الآتية فى المدرسة :

١ — اقتبس — بفضل رحلاته المتعددة الى جامعات أوربا نظاماً صالحاً لمدرسة الطب المصرية ، واستصدر به مرسوماً من وزارة المعارف سنة ١٨٨٧ ، فجعلت الدراسة ست سنوات للطب وأربع للصيادلة وثلاثاً للقابلات ، وإشترط حصول الطالب على الشهادة الثانوية للقبول بالمدرسة وكان لزاماً على المتقدم للإمتحانات النهائية أن يقدم رسالة فى مسألة طبية يناقشه فيها المجتمعون فإذا نجح أحرز لقب دكتور وشهادة الدكتوراه فى الطب .

وقضى هذا النظام بتفرغ الأساتذة للتعليم ، وأن يعين رئيس المدرسة بناء على ترشيح الأساتذة وموافقة ناظر المعارف ، وينتخب الوكيل من بين الأساتذة الأول ويعين الأول من الثوانى بدون إمتحان مسابقة برأى مجلس الأساتذة وبخلو منصب مدرس ثان يعقد إمتحان مسابقة ويعين الناجح مدرساً ثانياً .

٢ - أنشئت المدرجات ومعامل الكيمياء والطبيعة لتمرين الطلبة على التجارب ونسقت مجاميع التاريخ الطبيعى والعقاقير والمادة الطبيه ، وأنشئت متاحف البثالوجيا ، وأضيفت إليه مجموعة الدرى بك ونسقت حديقة النباتات على حسب الفصائل ، وفتحت قاعة التشريح المكروسكوبى والتشريح المقارن وأقيم معمل من الطلبة على أعمال الصيدليات .

(٣) أفتتحت العيادة الخارجية الأولى مرة سنة خمس وثمانية (١٨٨٥)

ويقرر على باشا إبراهيم أن عيسى باشا حمدى , يعتبر **بحق المجدد الثانى لمدرسة الطب المصرية بعد كلوت بك ، ويعد عهده أزهى العهود بعد محمد على البقلى فلقد كان عصراً علميا صحيحا بأجمع معانى الكلمة فمؤلفاته وحده كثيرة جدا واذا أضيفت اليها مؤلفات الدرى وإبراهيم حسن وطلعت وشكرى وعثمان غالب وغيرهم تكونت منها مكتبة غنية بما فيها . ولم يكن جهدهم**

فى هذا الباب مقصورا على تأليف الكتب والرسائل بل لقد كانوا يصدرون مجـــلة الصحة زاخرة بطريف البحوث .

وخرج عيسى باشا حمدى من المدرسة سنة تسع وثمانين (١٨٨٩) بسبب خلاف مع على باشا مبارك الذى أقتحم قوانين المدرسة وعين قريباً له فى منصب أستاذ فى الكلية بدون إمتحان مسابقة ، وتمسك عيسى باشا حمدى بالقوانين ، وكان رجلا متين الأخلاق لا يقبل شفاعة فى الحق ولا تدخلا فى عمله وإدارته من أى سلطة كانت.

هنا يبكى على باشا إبراهيم بدموع غزار على عهد عيسى باشا حمدى « وفى الحق لقد كان تنحى عيسى باشا عن رئاسة المدرسة الطبية ضربة قاضية عليها جرت عليها أذى ووباء وبخروجه مباشرة إبتدأت المدرسة فى الإنحطاط ، ولعبت السياسة دورها ، ولعن الله السياسة إذا ما تدخلت فى شأن العلم أو تسللت إلى معهد علمى فانتخب لإدارة مستشفى الدكتور ملتن الذى عين جراحاً منذ بضع سنوات مضت » . وفصل عن المدرسة فصلا تاماً وانتخب لرئاسة المدرسة الدكتور حسن باشا محمود ، وحسن باشا محمود هذا كان يتولى مصلحة الصحة سنة خمس وثمانين (١٨٨٥) ووقتها طلب فصل المستشفى عن المدرسة ولكن عيسى باشا حمدى عارضه بشدة وجاءت لجنة حكومية فأقرت رأى عيس حمدى ، فكان ضعيفاً ، فسهل ضعفه على ألاعيب السياسة مهمتها فى الإخلال بنظم المدرسة مما أدى إلى تدهور التعليم وإنحطاط أخلاق المدرسين ، وانقطع دور النفوس الأبيـــة

عن المدرسة وتوقفت البعثات ، وانقطعت المدرسة عن العالم الغربي انقطاعاً كلياً .

التعليم الطبي فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى :

وجاء إبراهيم باشا حسن ليخلف حسن باشا محمود على رئاسة المدرسة ولم تكن قدراته الإدارية توازى قدرته العلمية الكبرى فترك كل مقاليد المدرسة للدكتور كتفنج مدرس التشريح الذى عين وكيلا للمدرسة .

وما هى إلا فترة وجيزة حتى تولى الدكتور كتفنج هذا رئاسة المدرسة سنة ثمان وتسعين (١٨٩٨) ، وفى هذا الوقت كان الانحطاط قد بلغ منتهاه ، وفى هذا الوقت دخل على إبراهيم المدرسة طالباً فكان كما ذكرنا فى الباب الأول واحدا من سنة وعشرين طالباً تقوم عليهم المدرسة ، اثنان منهم فى السنة السادسة وأما الخامسة فلم يكن فيها أحد ، وأربعة فى الثالثة ، وثمانية ، واثنا عشر فى الأولى منهم أربعة من مهاجرى الأرمن لم يستمروا فى المدرسة .

كذلك كانت مدرسة الصيادلة تقوم على أربعة طلاب كلهم فى السنة النهائية فقط ولم تكن مدرسة القابلات تضم أكثر من ثمانى طالبات :

ولم تكن حالة هذه المعاهد الطبية فى ذلك الوقت بدعاً ، ولكنها كانت تقريباً حالة كثير من مؤسسات البلاد ومواطن نهضتها ، فقد

نشأت فى أخريات عهد توفيق حالة من الاستهتار بمصلحة البلاد الحقيقية، كانت لها علاقة كبيرة باهتمام الإنجليز وتركيزهم على ما يصلح دواوين الحكومة فحسب :

وقد تولى عباس حلمى عباس باشا (١٨٩٢) فلم يكن له عهد بالإصلاح الداخلى ولكنه كان يكره الإنجليز ويعمل على التخلص منهم بكل صورة ، ولم يكن الأمل فى الإصلاح منقطعاً ، ولكن الإصلاح كان يجىء بطيئاً غير الصورة المثالية .

وانتهز الدكتور كيتنج هذا الظرف فدعا من إنجلترا الدكتور كوبرى ليضع تقريرا عن حالة المدرسة وينصح الحكومة بما ير اه من وجوه الاصلاح فاستهل تقريره بأن انحطاط المدرسة يرجع اولا إلى التعليم باللغة العربية وثانيا إلى عدم كفاءة المدرسين ، ونصح الحكومة ابدالهم بالانجليز ، وجعل لغة التعليم هى اللغة الانجليزية ، واختصار سنى الدراسة الى أربع فقط ، وضم المستشفى الى المدرسة فى ادارة واحدة واختصار التعليم فى كثير من المواد ، ومحو بعضها بتاتا كالتاريخ الطبيعى الذى محى كذلك من المدارس الثانوية حتى إن التاريخ الطبيعى لم يعلم فى مصر مدة ست سنوات متتالية :

وكانت سياسة الحكومة ازاء التعليم فى ذلك الوقت قائمة على اخراج موظفين للحكومة فقط لا علماء تنتفع بكفاياتهم البلاد . وكانت هذه سياسة « دنلوب » التى لم تفتأ الصحف والصفوة ينتقدونها ولكنه لم يتراجع عن رأيه » .

ويشير على إبراهيم فى إنصاف إلى طبقة الأساتذة الإنجليز الذين جاءوا إلى المدرسة بعد كوبرى وتقريره على أنه عوض مدرسة الطب شيئا مما فقدته ، ان المحتلين لكى يظهروا الفرق العظيم بين الأساتذة المصريين الذين قبلوا الاشتغال فى المدرسة خلال تدهورها وبين الإنجليز ، أجلوا فى اختيار الدفعة الأولى منهم ، وجاءوا فعلا بطراز عال من كبار العلماء منهم « سيمرز » للباثولوجيا وقد تعين فيما بعد أستاذاً لبلفاست ، وسميث للتشريح وقد تعين فيما بعد لجامعة لندن ، وتوار للأمراض الباطنة ، ومادن للجراحة ، وفيشر للرمد ، وولسن للفسولوجيا واستفانو على علم الكيمياء والحشرات والاقرابازين وقانون الصحة بأساتذة من الالمان هم شميث ولوس ، ودنكلر ، وفيشر ، ولم يتخذوا لهم مساعدين من المصريين الا فى الأقسام الاكلينكية .

ويتحدث على إبراهيم عن عامل هام أدى إلى التفات الحكومة إلى التعليم الطبي فيقول « وكادهذا العهد يمحو المصريين جميعاً من العالم الطبي لولا عاملان : الأول :ظهور الكوليرا فى سنة ١٨٩٦ ، وعودتها فى سنة ١٩٠٢ ، وظهور الطاعون سنة ١٨٩٩ ، وانتشاره واستيطانه بالبلاد فرأت الحكومة نفسها عاجزة عن محاربته بأطبائها ، فاضطرت إلى استخدام طلبة الطب حتى البيطريين منهم وكل مفتشى الأسواق والمعارف ، كما استخدمت عدداً كبيراً من الأطباء غير المصريين لمكافحة هذين الوباءين .

ولقد نبه ذلك الحكومة إلى وجوب تشجيع الانتظام فى مدرسة طب ورفع مستوى التعليم فيها وعادوا الى استئناف البعثات التى كان يبغضها الدكتور كيتنج ، ويصارح بعـــدم فائدتها ، وكانت عودتها فى سنة ١٩٠٩ تحت تأثير وزير المعارف وقتئذ سعد زغلول باشا على ألا يزيد عدد من يرسل سنويا عن اثنين ، احدهما للعلوم الاكلينيكية والآخر العلوم الطبية وكانت مدة الارسالية وجيزة جداً لا يمكن أن تفى بالغرض الطبى فى الأخيرة وبحيث لا يجشم الطالب الحصول على درجات ، وكانت لمدة سنة واحدة للعلوم الإكلينيكية للحصول على إجازة كلية الجراحين وهى تعادل دبلومتنا .

وفى سنة ١٩٠٣ تم الاتفاق مع الكلية الملكية الإنجليزية للأطباء والجراحين على أن يأتى مندوب من الكلية كل سنة حضور امتحان المدرسة على أن تعتبر بعض هذه الامتحانات معادلة لامتحان الكلية الملكية للجراحين ما عدا الامتحان الأخير ، وعلى الطالب المصرى الذى يريد التقدم للامتحان النهائى أن يشتغل سنة فى مستشفيات إنجلترا ثم يتقـــدم لهذا الامتحان وإذا نجح فيه حصل على الإجازة .

وهكذا استفاد الطلبة بهذا الاتفاق تسهيلات كثيرة شجعت الكثيرين على اتمام علومهم فى إنجلترا أو الحصول على الدرجات العالية والتخصص .

أما العامل الثانى وهو الأهم — فشعور المسئولين أنفسهم بنقص التعليم الطبى فى بلادهم فانتهزوا كل الفرص للاستزادة منه فى البلاد

الاجنبية وكثر سفر الاطباء والطلبة لاتمام علومهم فى أوربا ، وكان يشجعهم على هذا أن النجاح فى الفروع الاكلينكية الطبية يجد له مجالا فى العمل الخارجى ويعطى للطبيب نصيبه بين الاطباء الاجانب الذين انحصرت فيهم على وجه التقريب صناعة الطب فى أغلب المدن المصرية .

أما الجانب العلمى فلم يجد أى تشجيع حتى عند الأطباء الذين عينوا فيما بعد مساعدين الأطباء الأجانب وذلك لأنهم رأوا طريق التقدم موصداً أمامهم وأنهم مهما عملوا أو كدوا ، فمحال أن يرقوا إلى منصب أستاذ بل مساعد أستاذ بالمعنى الصحيح فانصرفوا عن الجهد فى حاجات العلم ليقوموا بما يأمرهم الأستاذ بعمله فقط .

ويتحدث الدكتور على ابراهيم عن الدكتور كيتنج الذى ظل أستاذه ، ورئيسه مدة تزيد عن عشرين سنة ، فيصفه بأنه كان إدارياً حازما نزيها متين الاخلاق ، وان لم يكن على حظ كبير من العلم ولكنه كان يجتذب العلماء للتدريس فى مدرسة الطب ، ويحترمهم ويساعدهم . ولكن صفته الاولى التى يبرزها على باشا ابراهيم هى انه كان امبراطوريا : كلف تنفيذ خطة مرسومة للتعليم الطبى فنفذها بدقة متناهية وهيهات له مع ذلك أن يكون مجدداً ومصلحاً .

ويزيد على باشا إبراهيم هذه النقطة توضيحاً فيذكر أن الدكتور كيتنج تسلم مستشفى قصر العينى وكان يعتقد من يوم تسلمه أنه لا يليق ولا يصلح أن يكون مستشفى تعليمياً ، وطلب إلى الحكومة أن تهدمه وتبنى آخر مكانه ، ولما لم تجبه الحكومة إلى طلبه تركه كما هو فلم

يدخل عليه أى إصلاح ضرورى أو غير ضرورى إلى أن ترك قصر العينى ظناً منه أن هذا الإهمال فى حفظه يؤدى إلى تغيير رأى الحكومة فيه ، وعلى كل حال فقد تركه على حال أسوأ من التى تسلمه عليها من الدكتور ملتن ؟

أما المدرسة فقد بقيت كما أسسها عيسى باشا حمدى مع إنقاص كبير فى مجاميعها ، فاختفت مجموعة الدرى والباثولوجيا ، كما اختفت الكتب العربية والفرنسية من المكتبة كما ذاب معمل الطبيعة ، ولم يزد بإزاء هذا على المدرسة شىء فى أى قسم من أقسامها :

وكان الدكتور كيتنج شديد المعارضة لتقدم المصريين فلم يعين الدكتور بهجت وهبى أستاذاً للتشريح ، وفى نظارة سعد زغلول إلا بعد مشادة عنيفة .

وهكذا يتضح لنا أن هذا العهد كان عهد الانجليز بكل ما تعنى هذه الكلمة ، وقد استفاد المصريون من هؤلاء علمهم الذى تمثل فى الاساتذة الكبار الذين جئ بهم ... ولم يكن هذ بالأمر الهين من الوجهة العلمية ، فلم يكن على ابراهيم نفسه وزملاءوه من الاساتذة الرواد أمثال نجيب محفوظ وعبد العزيز اسماعيل ، وسليمان عزمى ، وخليل عبد الخالق ، الا التلامذة الأفذاذ لهؤلاء الاساتذة

لم يكن لنا أن ننتظر حدوث التقدم فى هذا العهد ، ولكنه ينبغى لنا أن نسعد عندما نرى هذا العهد قد ربى جيلا له أن يستقر بفضله التعليم الطبى ويتقدم فيما بعد .

التعليم الطبي فى عهد السلطان حسين كامل (الحرب العالمية الأولى) :

وفى أثناء الحرب العظمى رحل الأساتذة الألمان إلى بلادهم كما تطوع الأساتذة الإنجليز لخدمة وطنهم وتركت المدرسة للمدرسين المصريين الذين قاموا بواجبهم خير قيام فلم تشعر المدرسة بنقص فى التعليم ولا انحط مستواه .

كانت فترة الحرب قصيرة بالنسبة لأعمار التعليم ومعاهده ولكنها أتاحت للمصريين الفرصة للثقة بأنفسهم وقدرتهم على إدارة المدرسة وإقامة صرح التعليم الطبي فى مصر وهو ما قام به على إبراهيم وزملاؤه فيما بعـــد خير قيـــام .

التعليم الطبي بعد الحرب العالمية وثورة ١٩١٩ :

بعد انتهاء الحرب عين الدكتور ريتشارد الجراح السابق بالمستشفى خلفاً للدكتور كيتنج وسرعان ما طلب المصريون إليه إسناد مناصب الأستاذية إلى الأكفاء منهم وأن يكونوا ممثلين فى مجلس المدرسة وعدد رجاله اثنى عشر وقد كان وعين بعض المصريين فى وظائف الأساتذة وانتخب ثلاثة منهم فى مجلس المدرسة ويعبر على إبراهيم عن سعادته بهذا التطور فيقول : « ولأول مرة بعد أربعين سنة أصبح للمصريين صوت مسموع فى سياسة التعليم الطبي وفى إدارة المدرسة أيضـــاً » . .

ونترك على باشا إبراهيم يصف عهـــد ريتشارد ، وينبغى لنا أن نلاحظ أن على إبراهيم نفسه كان مشاركاً فى صنع أحداث هذا العهـــد ، وفى معظم إنجازات ريتشارد .

« كان الدكتور ريتشارد مصلحاً ومجدداً وإدارياً حازماً ومنظماً حكيماً وزاد فى إصلاحاته قيمة وجود العنصر المصرى فى مجلس إدارة المدرسة وإظهارهم لنقط الضعف فى سياسة التعليم من جهة النظر المصرية وكان يعمل بمشورة من يثق بهم من زملائه وكثيراً ما يخالف رأى الأغلبية فى مجلس المدرسة ولا يعمل مهما أفضى إليه من مشادات مستمرة مع بعض الاساتذة خصوصا وان كثيرا منهم كان أكبر منه سنا ومركزا وكانوا يرون أنهم أحق منه بالرئاسة .

فأول ما رآه واجبا ، زيادة الطلبة بالمدرسة من ٥٠ الى ١٠٠ فى السنة و كان عليه أن يهيىء لهم المعامل التى تسعهم فى بناء لم يستعد مطلقاً لهذا العدد فنقل متحف التاريخ الطبيعى إلى حديقة الحيوانات ، وحوله إلى معمل لعلمى الحيوان والنبات ، ونقل متحف التشريح المقارن إلى المتحف المصرى ، وحوله إلى معمل للفسيولوجيا ، وأخلى نادى الطلبة وسكن النواب الذى كان يحتل مكاناً يعتد به من بناء المدرسة ، وبنى لهما جناحاً قائماً بذاته فى فناء المدرسة (الدور الأرضى للنادى والعلوى لسكن النواب) ، وانتفع بمكان النواب لقسم الميكروبات وبنادى الطلبة لقسم علم تركيب العقاقير .

وهدم بناء المشرحة المكون من دور أرضى فقط ولا يحتمل طابقاً فوقه وبنى مكانه جناحا مكونا من دورين (الأرضى للمشرحة والعلوى

للكيمياء الحيوية) وبذلك استعدت أماكن المدرسة واتسعت لمائة طالب يلتحقون بها كل سـنة .

ثانيا : كون لجنة نقحت المناهج لتصبح عصرية وزيدت مدة الدراسة إلى خمس سنوات وثلاثة شهور بدلا من أربع واستصدر به قرارات وزارية فى سنة ١٩١٩ :

وانتخب طبقة من أحسن ما يكون من الأساتذة الإنجليز ، لملء الكراسى الخالية والمستجدة بالكلية . ولما لم يكن بين الأطباء المصريين من يصلح أن يكونوا مساعدين أو مدرسين فى هذا الفرع عين نفراً من الأطباء الإنجليز فى هذه الوظائف بعقود لمدة ثلاث سنوات لا تجدد حتى يعود من البعثات من يشغل هذه الوظائف من المصريين .

ثالثا : أرسلت بعثة أول سنة وعدد أفرادها ١٢ من متخرجى المدرسة ليتخصصوا فى هذه الفروع على أن تكون مدة البعثة ثلاث سنوات وأن يحصلوا على درجات علمية محترمة ، وبعد ذلك يرجعون مدرسين لمدة ثلاث سنوات أخرى ، ويكلفون أقل ما يمكن من التدريس على أن يظهروا مقدرتهم على البحث العلمى ،ولا يثبتوا فى وظائفهم إلا بعد ذلك ، وكان البحث العلمى هو مطلبه الأكبر وعليه يقدر قيمة الأساتذة والمساعدين .

رابعا : عين له وكيلا من المصريين وانتخبه من الشبان الأذكياء وذوى النشاط القادرين على مساعدته .

خامسا : وهو أهم وأكبر حسناته مشروع إيجاد مستشفى كبير ومدرسة كبيرة على النمط الحديث فتكونت لجنة كنت أنا أحد أعضائها عاينت مختلف الأمكنة الفضاء بالقاهرة واختارت المركز الذى خصص لها الآن أى شمال جزيرة الروضة وعمل تصميم البناء بمسابقة دولية فازت فيها محلات ديكسون سبين ثم أعيدت المسابقة ثانية بين الناجح وعشرة من البيوتات الكبيرة الدولية التى لم تشترك فى المسابقة الأولى فكانت فيها أول الناجحين أيضاً » .

ولكن الدكتور ريتشارد استقال وفى عهد من ؟ عهد وزارة الشعب الأولى التى رأسها زغلول ، وكانت استقالته بسبب مشادة مع وزير المعارف محمد سعيد باشا وكان سعيد باشا رئيساً للوزارة قبل ذلك فى عهود الإنجليز ، وكان سعيد باشا من المعروفين باعتدالهم من الإنجليز ، ولكن الظروف التى صاحبت تقلد المصريين أمور الحكم بالطريق البرلمانى ورد الفعل بالفرحة ، لم تكن تتيح لريتشارد أن يمضى إلى النهاية فى الإصلاح على طريقته فقد كان كما عبر الدكتور على إبراهيم « تنقصه كثير من المرونة ، ولم يتنبه أن الحالة فى مصر تغيرت عما كانت قبل الحرب ، وقد تولت حكم البلاد وزارة مسئولة أمام البرلمان » .

ويعود على إبراهيم ليشهد بأن الإصلاحات العديدة التى قام بها الدكتور ريتشارد قد نفذت بغاية السرعة ومنتهى الدقة فى الزمن القصير الذى سمح له بعمل كل التغييرات

ثم يشهد على ابراهيم بأنه إذا لم يلق ريتشارد ما يستحقه من الإنصاف » فنرد ذلك إلى ضغائن شخصية ودسائس دبرت لـه لأسباب ومطامع شخصية فقط انتقمت منه فى أعز ولجل مشروعاته سامحهم الله » .

ولا يسعنا هنا أولا أن نشير إلى نبل على إبراهيم الذى لم يتردد فى أن يعيد الحق إلى نصابه فيما يتعلق بالرجل الذى سبقه إلى الأصح فى عهد الكلية الحديثة ، وكان فى إمكان على إبراهيم أن يستمر مع الاسطوانة الدائرة بسوء الحال فى عهد ريتشارد وأن يستغل ذلك فى إبراز قيمة أعماله التى أتمها هو فيما بعد ، ولكن ما فعله على إبراهيم كان أروع مما كان فى وسعه أن يفعله .

أتت فيما بين خروج ريتشارد (١٩٢٤) وتولى على إبراهيم العمادة فى سنة تسع وعشرين (١٩٢٩) فترة ساد المدرسة فيها بعض القلق، ونشأ التشاحن والتخاصم وأصبحت مسرحاً للفوضى ، ولم ينقذها منها إلا إنشاء الجامعة المصرية وجعل مدرسة الطب إحدى كلياتها ولكن أبناء الأسرة الواحدة من أساتذة الكلية تكاتفوا على إزالة هذا الفساد بعد أن تحملوا سنتين من الضيم وكان لهم الفضل الأكبر فى تسوية مشكلاتهم دون الالتجاء إلى غيرهم دون الرجوع إلى سلطة عليا ، واشتغلوا فترة فعلا بإعداد البرامج والنظم التى تنقل مدرسة طبية إلى هيئة كلية جامعية، ولهم أن يفخروا بذلك إذ لم تتدخل الجنسية مطلقاً بل كان رائدهم مصلحة المعهد الذى تطوع الجميع لخدمته وترقيته » . .

وجاء السير كوبر برى ليضع أسس تحويل المدرسة إلى كلية جامعية ، وتحولت مدرسة الطب إلى كلية طب قصر العينى — جامعة القـــاهرة ، وانتخب على باشا إبراهيم عميداً للكلية سنة تسع وعشرين (١٩٢٩) ، وقام بإصلاحاته العديدة التى عرضنا لها فى الباب الأول من هذا الكتاب ، والتى أتاحت للكلية عصراً جديداً من الازدهار والرقى لا يقل عن عهد كلوت بك ، ولا عن عهد محمد على البقلى ، ولا عن عهد عيسى حمدى ، لكنه يزيد عن كل هذه العهود بالميزة التى لم تتوفر فى أى منها ، وهى ميلاد الاستقرار العلمى فى الكلية استقراراً لا يؤثر فيه تغيير الحاكم ولا العميد ولا الظروف ، لأن الكلية قد وضعت قدمها بعد طول تعثر على أول الطريق الصحيح وأفادتها فى ذلك تجارب على باشا إبراهيم وخبرته بالتجارب السابقة حتى إذا ما ترك على باشا إبراهيم العمادة إلى الوزارة وإلى رئاسة الجامعة كان هناك أكثر من على إبراهيم يتولون الكلية واحداً بعد الآخر فلا يحافظون على ما يشيد على إبراهيم صرحه فحسب ولكنهم يضيفون إليه ما كان على إبراهيم يود إضافته لو امتد به العمر ولم تكن ألاعيب السياسة لتؤثر فى الكلية بعد ما أصبح لها من رسوخ القدم ما يجعلها تقف شامخة أمام كل عبث ، ولم يكن لنقص الاعتمادات أو قلة الإمكانات فى بعض الأحيان أن تؤثر على حياة الكلية ، فقد صارت الحياة فى الكلية طبعاً لا يتغير ولا يتأثر بأى ظرف من الظروف المحيطة المساعدة على الحياة لأن حياتها كانت تولد

ذاتياً حياة أخرى بفضل تعاقب الأجيال ، واستطاع على إبراهيم أن يحقق حلمه القديم فى بناء كلية طب فى موطنه الأصلى (الإسكندرية) فكانت النواة الحقيقية لجامعة الإسكندرية فى الأربعينات ولم تبدأ الخمسينات حتى كانت كلية طب الدمرداش نواة لجامعة أخرى هى جامعة عين شمس وصارت الكليات الطبية الثلاثة فى الجامعات الثلاث منارات وبحث علم وبحث علاج ، وسرعان ما جاءت كليات الطب الأخرى فى أسيوط والمنصورة وطنطا والأزهر والزقازيق نتيجة طيبة لنمو المدرسة الطبية المصرية إلى الحد الذى أتاح لها الانقسام البيولوجى الذى يهدف إلى استمرار الأجيال .

على أنه ينبغى لنا أن نتأمل مرة أخرى الجهود التى بذلها على باشا إبراهيم فى كلية الطب ، وهنا فإننا نحيل القارىء الكريم إلى قراءة الفقرات المتعلقة بهذا الموضوع فى الباب الأول . فهى مذكورة على نحو مفصل ، لا يسعنا تكراره ونحن فى نفس الكتاب .

ولكنه لا بد لنا قبل أن نختم هذا الفصل أن نشير إلى بعض الآراء التى بلورها على باشا إبراهيم من خبرته بتاريخ التعليم الطبى ودراسة مراحل تطوره :

١ ــ كان على إبراهيم يحذر ولا يفتأ يحذر من الانقطاع عن العالم العلمى ، وكان يضرب لذلك مثلا بقوله : « ففى المدة القصيرة والقصيرة جداً التى انقطعت فيها مدرسة الطب المصرية عن العالم العلمى ــ بعد زمن عيسى باشا حمدى . حصل هذا التدهور

فى البناء المتين الذى أسسه عيسى حمدى و أسلافه إلى أحط مستوى وصلت إليه مدرسة الطب المصرى فى أى عصر من العصور فيلزم ألا ننقطع عن البعثات ، وإن ضمنا علم أوربا كله وحضارة أمريكا بأجمعها .

٢ ــ كان على باشا إبراهيم يلفت النظر إلى أن العالم فى تقدم مستمر وأنه يلزم لكل جيل لاحق أن يتخطى فى معاملاته وعرفانه الجيل الذى سبق ، وإلا لما تقدم العالم وإذا فعلينا واجب شرعى لأبنائنا هو أن نعلمهم ليكونوا أحسن منا وهذا ضمنته الجامعة بتشجيع البحث العلمى ، واعتبراه أساساً للتوظف والتدريس وقدمته على كل اعتبار آخر والعلم واسع لا حد له ولا يمكن أن ينتهى البحث والاكتشاف والاختراع ما بقيت الدنيا .

٣ ــ كان على باشا إبراهيم يرى أن الإتقان هو السبيل الأوحد للارتفاع بمستوى المهنة ، « ويجب على كل ذى صناعة أو فن أو عمل أن يتقنه ، وهذا لا يأتى إلا بالإخلاص له والانقطاع لدرسه ، والتوفر على مسائله ، فإن هذا يؤدى حتماً إلى النبوغ فيه ، ثم إلى الشهرة به ، وهما لا ينكران ولا يغمط صاحبه حقه من الإنصاف ونصيبه من الإعظام .

٤ ــ كان على باشا إبراهيم يرجع سبب التقــدم الذى أحرزته كلية الطب فى عهده إلى التعاون بينه وبين زملائه : « أما التقدم الذى أحرزته كلية الطب ، فالفضل فيه راجع على عدد من إخوانى

المصريين ، على جانب عظيم من الوطنية الخالصة والغيرة المحمودة فعندما أولانى إخوانى الأطباء عزيز ثقتهم بانتخابى عميداً للكلية قابلت ثقتهم بى بأضعاف من ثقتى بهم وجزيتهم على إخلاصهم لى بفيض من ولائى لهم ، فاتحدت غايتنا جميعاً وصدقت عزيمتهم على النهوض بالكلية ، والتقت أغراضنا كافة عند رجاء واحد وغاية واحدة : هى الوصول بالكلية إلى المستوى الأعلى الذى يليق بمصر بمعهديها الخالدى الذكر على الزمن ، معهد الإسكندرية، ومعهد عين شمس » .

نعم ، ولكن معهد قصر العينى صار بفضلكم يا علماءنا الأجلاء لا يقل روعة ولا عظمة ولا عراقة عن معهدينا العظيمين فى سالف الدهر .

الباب الرابع

اشعار فى على باشا ابراهيم



قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى

فى الاحتفال بالباشوية

إبتغوا ناصيةَ الشمس مكانا وخُـذوا القمَّةَ علماً وبيانـا

واطلبوا بالعبقريـات المدى ليس كلُّ الخيل يشهدن الرهانا

إبعثوهـا سابقات نُجبـاً تمْـلأُ المضمار معنى وعيانـا

وثبوا للعـزِّ من صهوتِهـا وخذوا المجـد عناناً فعنـانـا

لا تثيبوهـا على ماقلـدت من أيادٍ ، حسدا أو شنآنا

• • •

وضئيل من أساة الحـى لم يعـن باللحم وبالشحم اختزانـا

غـامـر فى سفعة تحسبـه نِضو صحراء ارتدى الشمس دهانا

أو طبيبا آيباً من « طيبة » لم تـزل تَنْدى يداه زعفـرانـا

تُنكر الأرض عليه جسمه واسمه أعظم منها دورانا

نال عرشَ الطب من « امحوتب » ونَلقى من يَديه الصولجـانا

بالامحوتب من مستأْلـه لم يلـد إلا حوارياً هجـانـا

خاشعاً لله لم يُزْهَ ولم   يرهق النفس اغتراراً وافتتانا
يلمس القدرة لمساً كلمّا   قلب الموت وجس الحيوانا
لو يُرى الله بمصباح لما   كان الا العلم جل الله شانا
فى خلال لفتت زهر الربى   وسجايا أنست الشَّرْبَ الدنانا
لو أتاه موجعاً حاسده   سَلَّ من جنب الحسود السرطانا
خير من علم فى «القصر» ومن   شق عن مستتر الداء الكنانا
كلٌّ تعليم تراه ناقصاً   سُلَّمٌ رَثٌّ إذا استعمل خانا
دَرَكٌ مستحدث من درج   ومن الرفعة ما حط الدخانا

• • •

لا عدمنا « للسيوطى » يدًا   خُلقت للفتق والرتق بنانا
تصرف المشرط للبُرْء كما   صرَّفَ الرمحُ إلى النصر السنانا
مَدَّها كالأَجل المبسوط فى   طلب البُرْء اجتهادا وافتنانا
تجد الفولاذ فيها محسناً   أخذ الرفق عليها والليانا
يدُ « إبراهيم » لو جئتَ لها   بذبيح الطير عاد الطيرانا
لم تخطْ للناس يوماً كفناً   إنما خاطت بقاء وكيانا

ولقد يؤسى ذوو الجرحى بها — من جراح الدهر أو يشفى الحزانى

نبغ الجيل على مِشْرطها — فى كفاح الموت ضربا وطعانا

لو أتت قبل نضوج الطب ما — وجد التنويم عونا فاستعانا

• • •

يا طرازًا يبعث الله به — فى نواحِي ملكهِ آنا فآنا

من رجال خُلِقوا ألويةً — ونجوماً وغيوثاً ورعانا

قادة الناس وإن لم يقربوا — طبعات الهند والسمر اللدانا

وغذاء الجيل فالجيل وإن — نسى الأجيال كالطفل اللبانا

وهمو الأبطال كانت حربهم — منذ شنوها على الجهل عوانا

• • •

يا أخى : والذخرفى الدنيا أخ — حاضر الخير على الخير أعانا

لك عند ابنى أو : عندى يد — لستُ آلوها ادكارًا وصيانا

حَسُنت منىّ ومنه موقعاً — فجعلنا حرزها الشكر الحسانا

هل ترى أنت ؟ فإنى لم أجد — كجميل الصنع بالشكر اقترانا

وإذا الدنيا خلت من خيّر — وخلتْ من شاكر هانت هوانا

دفع الله «حسيناً» فى يـــد كيـــد الألطاف رفقاً واحتضانـــا

لو تناولت الــذي قد لمست منـــه ما زدت حذارًا وحنانا

جرحـــه كان بقلبي ، يا أبـــا لا أنبيه بجرحى كيف كانـــا

لطف الله فعـــوفينـــا معـــا وارتهنّا لك بالشكـــر لسانـــا

من ديوان شاعر النيل حافظ ابراهيم
فى مناسبات مختلفة

(أ) الى الدكتور على ابراهيم (بك) الجراح المعروف

(نشرت فى ١٥ سبتمبر ١٩١٢)

هل رأيتم موفقاً (كعلى) فى الأطباء يستحق الثناء

أودع الله صدره حكمة العلم وأجرى على يديه الشفاء

كم نفوس قد سلها من يد المو ت بلطف منه وكم سل داء

فأرانا لقمان فى مصر حيا وحبانا لكل داء دواء

حفظ الله مبضعاً فى يديه قد أمات الأسى وأحيا الرجاء

(ب) الى الدكتور على ابراهيم (بك)

قالها وقد عمل الدكتور عملية
لصاحب الدولة محمد محمود باشا

(نشرت فى ٢٥ يولية ١٩٣٠)

أيا يـداً قـد خصها ربهـا ... بآية الإعجـاز فى الخلـق

ومشرطـا جمع من رحمـة ... وصيـغ من يمـن ومـن رفـق

نجيتما من مرض قـاتـل ... مطلـع آمال بنى الشـرق

لولاكما لاندك صرح العـلا ... وانحـدر البدر عن الأُفـق

وباتت الأَخـلاق فى حسـرة ... على نبيـل النفس والخلـق

صانكمـا الله لبـرء الورى ... وصـانه للعـرف والحـق

(جـ) وقال فى حفل اقيم لتكريم
على باشا ابراهيم سنة ١٩٣٠

قل للطبيب الذى تعنو الجراح له ... ماذا اعتددت لجرح العاشق العانى

قد كان مبضعه والجرح يرمقه ... يمنى الحبيب تواسى صدر ولهان

دَعْ فَضْلَ ذَاكَ الْعَبْقرىِّ وَعِلْمَهُ ... وَذكَاءَهُ وَلِسَـــانَهُ المِنْطِيقَـــا

واذكرله فوق الحَصَافة وَالْحِجَى ... خُلُقاً بأَسْنى التَّكرمَات خليقاً

خَبَرَ الزَّمَان بَنُو الزَّمَان فَعَزَّ أنْ ... يروا الصَّدِيق كما رَأوْه صَديقاً

وُدٌّ صَفَا مِنْ كُلِّ شائِبَـــة فَلا ... تكْدِيرَ فى حَال وَلا ترنيقـــاً

أدَبٌ تُقيِّدُه سَجيَّتُـــهُ بـــهِ ... وَيُريكهُ الْبِشْرُ الطَّلِيقُ طَليقَـــاً

ذوقٌ سَلِيمٌ فى الطرَائِف وَالْحِلَى ... يَهْوَى الْفُنُون ويُنْكِر التَّزْويقَا

يَخْتَصُّ مِنْهَا بالْعُيُونِ فما ترَى ... إلا جَميلاً حَولَــهُ وَأنِيقَا

* * *

يا فخْـرَ أُمَّتِهِ وبَاعِث مَجْدِها   جلَّتْ مَسَاعِيكَ الْجسامُ حُقُوقاً
أيَفى بمَا افترَضتْ عَلى أُدَبَائِها   أنْ يُحْسِنُوا المَكْتُوب والْمَنْطُوقا؟
هيْهاتَ تُخْفِي بالتَّوَاضع ،جُهْدَ مَا   بَالغْت فِيهِ ، مكانك المَرْموقا
يَتقاصَرُ الأَنْدَاد عنْك وَمَا بهمْ   مِنْ سَابق إلاَّ غـدَا مَسْبُوقـاً
أرْضاهمُ فى الْحَقِّ أنَّك لمْ تكُنْ   أدنَاهُمُ جُهْدًا وَأعْلى فُوقاً
عدْلٌ حُلُولُك فى القُلُوب جَميعها   ذاك المَحَلَّ مبَجَّلا موْموقاً

* * *

هُوَ ليْلٌ جَلا الصَّفـاءُ بِــهِ   صُورةً مِنْ روائع الصُّــوَرِ
تمَّ سَعْدُ المُنـى لِساهِــرِهِ   بَيْن ليْلى وَالظَّبْىِ وَالْقمَــر

لشاعر القطرين خليل مطران

(أ) قصيدة فى التهنئة بعمادة كلية الطب

بلَغْت أعْلَى مَنْصِب تَوثِيقاً فَسَمَوْت لا عَفْواً وَلاَ توفِيقَا

شرَفاً عَمِيدَ الطِّبِّ لَمْ تل مَنْصِباً إلاَّ بأَسْنَى منْهُ كنْتَ حَقِيقَا

آيَاتُ عِلْمِكَ وَابتِكارك سُدِّدَتْ نظرِيَّةً وَتمَحَّصَتْ تطْبيقَا

عَرَف النَّوابغُ بالشَّوَاهِدِ فضْلها فأتتْ شهادَتُهُم لها تصديقَا

لابدع وَالوَطنان مُخْتلِفان أنْ رَعَيا النُّبوغ وَأنْ دَعَوْك «رفِيقا»

فإذا مَقامُ الْعلْم أرْفَعُ رايَةً وَإذا فريقُهُمْ أعَزُّ فريقا

* * *

أثْرَةً «لِمصْرَ» عَتِيقةٌ فجَلوْت وجْهاً لِلْفخار عَتِيقا

ووَصلْت فى الطِّبِّ الفُرُوع بأَصْلِهَا

فَزها الْفُرُوعُ بأَصْلِهنَّ عريقا

ألطِّبُّ مِنْ إبْدَاءِ «مصْرَ» فَيَا لهُ فتْحاً أفاض عَلى الْغُرُوب شُرُوقا

لاَ بِدْع وَالْحُفدَاءُ سِرُّ جُدُودِهِمْ أنْ تَسْتعِيدَ مَقامَهَا وَتفوقا

فدْ ألَّهتْ « آمِنْحَتِيبَ » وَإنَّما هِي مَجَّدَتْ فى الخالِق المخْلُوقا

* * *

عِلْمٌ إذا اسْتقْرَيْت مِنه جَلِيلهُ أمْعَنْت فِيهِ فما تركت دقِيقَا
وَقَتَلْتَهُ خُبْرًا لإحْياء بِهِ وَسَبَرْت أبْعَدَ غوْرِه تحقِيقَا
فَبَدَتْ لَكَ الآراءُ فِيهِ جَدِيدَةً مِنْ كُلِّ بَاب لَمْ يَكُنْ مطْروقا
وَتُنُوقِلتْ فِيهِ مَبَاحِثُكَ الَّتِي قَدْ قرَّبَتْ مَا كان مِنْهُ سَحِيقَا

* * *

كم مُدْنف أبْرَأتَهُ مِنْ سُقْمِهِ فَكفَيْتَهُ التَّعْذِيبَ والتَّأْرِيقَا
وَشفيْتَ قبْل الجسْم عِلَّةَ رُوحِهِ باللَّفْظ عَذْباً وَالعِلاج رفِيقَا
تصِفُ الدَّوَاءَ لهُ عَلى قَدَر فلاَ تخْلِيط فى صِفةٍ ولا تلْفِيقَا
أوْ تُدْرِكُ الدَّاءَ الدَّوِيَّ بنَصْلَة تنْضُو الحِجَاب وَلا تضِلُّ طَرِيقا
تنْدى وَتسْطعُ فى يدَيْكَ مَهَارَة كَالمَاء لِيناً وَالرَّجَاء برِيقَا
وَتُطِيعُ فِكْرًا صارماً كَشَباتِها وتُطِيعُ قَلْباً كالنَّسِيم رقِيقَا
عزْمٌ بهِ تنْهى الصُّرُوف فتنْتَهِى وَلَرُبَّما ذُقْتَ الحِمَامَ ذَعِيقا

* * *

(ب) تهنئة برتبة الباشوية

إهنَــأْ برتبَتِك العَلْيَا وَيهنئُها — مَا أحْرَزتْ بكَ مِنْ جَاه وَمِنْ شرَف

ببَعْض مَالك مِنْ فضل رفعْت به — مَكَان قومِك أىُّ التَّكْرمَات يَفِى ؟

يا أنْبَهَ الخلْق فى عِلْم ٍ وَفى عَمَل ٍ — وَأنْزَهَ الخلْق عَنْ زَهْو وَعَنْ صَلف

ثَأَرْت لِلشَّرْق مِنْ دَهْر قَضاهُ وَلا — ذِكْرَى لهُ غيْر مَا يُحْكى عَن السَّلَف

وَجانِبُ المجْدِ مِنْهُ قَدْ ألمَّ بهِ — دَاءٌ تَدَارَكْتَه مُستعْصِياً ، فَشُفِى

حَصَّلْتَ مَالمْ يُحَصِّلْهُ النَّوَابِغُ فِى — قَوْم ٍ فَجَاوَزْتهمْ سبْقاً وَلمْ تقف

مَا تخيَّرْتَ بَعْدَ الكدِّ تَلْهيــة — إلاَّ ببَعْث بَقَايَا الْفَنِّ والتُّحَف

مِنْ كُلِّ مفْخرة لوْلمْ تُتِحْكَ لها — يد الْعِنــايةِ لمْ تَسْلمْ مِنَ التَّلَف

أمَّا السَّجايا فقَدْ أوتِيت زينتَها — مِنْ كُلِّ مخْتَلِف حسْناً وَمؤْتلِف

يَا لُطفَها فى نِظَــام لا يُنَافسهُ — عِقْدٌ بهِ نُظِمَتْ شتَّى مِن الطُّرَف

ألْبأْسُ والحــزْم والإقْدَامُ فى طرَف ،

وَالْجُودُ والْظَــرْفُ و الإحْسانُ فى طــرَف

(جـ) قصيدته فى الاحتفال بالعيد الستينى

أيزيدك التبجيـــل والتكريم شرفاً ، وأنت على إبراهيم ؟!

شأن التفوق شأنه ووراءه ما يحدث التضخيم والتفخيم

ليس العظيم هو العظيم إضافة إن العظيم بنفسه لعظيــم

ملء الزمـان بعبقـريتك التى يعفو الزمان وما بنت سيريم

شهد العظام من الأساة بفضلها إذ قدموا من حقــه التقديم

وتعددت آياتهـا حتى غدت وبها لكــل مكابر تسليـم

أنت الطبيب الفرد غير منازع فيما اختصصت به وأنت حكيم

تشفى بإذن الله إلا حيثمـــا يأبى التمهل أمره المحتــوم

ودعيت بالجراح ، هل يدعى به من نصله عف الشباة رحيم؟!

يأسو وقد يقسو فإن يك ظالما فالداء من ثقــة هو المظلوم

ولقد تكون بحسن رأيك مبرئاً من روحه لاجسمه المكلوم

أسمى فعالك آسياً ومداوياً تصحيح رأى الشرق وهو سقيم

ترك التطبب للأجانب حقبة فكأنه وهو الأصيل زنيم

لولاه فى أولى الليالى لم تكن لهم فنون جددت وعلوم

لكن روحك فيه أورت ماخبا من شعلة فذكت وسوف تدوم

منها استمدت مصر مجداً يلتقى فيه جديد باهر وقديم

فالغرب قبل اليوم فيه نجومه والشاق بعد اليوم فيه نجوم

* * *

لم تدخر لرقى قومك همة وذريعتاك العلم والتعليم

صرفت تنشئة الشباب بحكمة وهدى كأحسن ما أسام مسيم

فتبينوا أن الحياة حقائق لا نضرة موهومة ونعيم

من ليس يقدرها ، فإن خلاقه منها الطفيف وحقه مهضوم

وضمنت إنجاح الجماعات التى ترعى ، ومثلك بالنجاح زعيم

فتعددت والبر من أغراضها والنصح والتثقيف والتقويم

العمر أعمار ، إذا استثمرته ويزيد غلة وقته التقسيم

والوقت تملكه فأنت بفضله مثر ، وتتركه فأنت عديم

* * *

لله فى همم الرجال ، فإنها تلد العجائب والجمود عقيم

هـذا علىّ لم يثبطه ، وقد بعدت مناه ، ما النجاح يسوم

وهب المآثر ليله ونهاره جذلا وهن متاعب وهموم

فى كل حين فكره متيقظ للنافعات ونومه تهويم

حتى أوان اللهو يشغله بما فيه لأشرف خطة تتميم

فى صرحه من كل ذخر فاخر تحف لها تاريخها ورسوم

مما يريك الشرق فيه سره وصنيعه ببديعه موسوم

تحف رددن إلى الحياة وإنما بعثت بهن قرائح وحلوم

* * *

لن يرض اسمى جانب من نفسه لم يثنه أن الطريق أليم

الفوز بعد الفوز يشحذ عزمه أتراه يستصغى الفخار عزوم

ونعم يروم من الفخار أجله وأعزه ، لكن لمصر يروم

هذى الوزارة لم تكن لتزيده خطرًا ، وزيد العبء فهو جسيم

لكـــن دعتـــه بلاده فأجابها كيف الكريم وقد دعاه كريم
اتعل « صحتها » وعن كثب لها منـــه خبير بالشفاء عليم

* * *

لعلى من شيم البطولة جانب فى نفسه هو للنبوغ قسيـــــم
الأسمر الحالى بأسمح ما جلا العين من شمس البلاد أديم
هو كالقناة عدالة فى خلقـــــه وبخلقه هو كالقناة قـويم
ويهزه هـــــز القناة لنصره مستصرخ من قـومه ومضيم
شتى فضائله . فإن وصفت فهل يقضى نثير حقهـا ونظيم ؟ !
غرر إذا ما اللطف كان حجابها فهناك سر المجد وهو صميـم
لم يلقَ يوماً من يفـى كوفائه فيما بلاه من الحميم صميم
يخفى مناقبه ومن شرف الندى أن ليس يفشى أمرها المكتـوم
كم من يدعرف السرورَ بها شجٍ وبها تغنى عـائذ ويتيـــــم
ردت على ذات النقاب نقـابها وسلا بها حرمـانه المحـروم
أما شمائله فقـل فى نفحـة للروض مر به الغـداة نسيـم

المنفس منها نشوة غير التى   فى الحس يحدثها طلا ونديم

* * *

يا من أرانى عاجزاً عن وصفه   هل من يقدم ما استطاع مليم

تمثالك المرفوع أبلغ شاهد   بوفاء مصر وذاك فيها خيم

والتكرمات الحاشدات مظاهر   لشعورها الفياض وهو عميم

عش أطول الأعمار تختار المنى   وتصيب أغلاها وأنت سليم

* * *

برعاية الملك ازدهى عيد له   فى المشرقين القدر والتقويم

وإذا النوابغ عظموا فى ظله   فإلى المليك يوجه التعظيم

فاروق يسعد شعبه فيطيعه   عن رغبة فى حكمه المحكوم

أى الكفاح لعز مصر كفاحه   وبأى عبء للنجاح يقوم

ليصنه من ولاه ، وليك عهده   فيه الحميد وليس فيه ذميم

قصيدة الأستاذ على الجارم

فى الاحتفال الستينى

ذؤابة مجد ما أجل وما أسمى ... ورفعة شأو كاد يستبق النجما

وماذا يقول الشعر ، والوهم جهده ... وقدر «على» يبهر الشعر والوهما

وأنّى يفيد ابن القوافى جناحه ... إلى قمة عصماء أعجزت العصا

يضيق البيان العبقرى مهابة ... إذا لمح الآثار والحسب الضخما

بهم فيعروه القصور فينثنى ... وقد كان يقتاد النجوم إذا همّا

ومن رام تصوير الملائك جاهداً ... فكيف له أن يحكم النقش والرسما

رويدك ! قل يا شعر ما تستطيعه ... وغرّد بما لا تستطيع له كتما

إذا اليوم أعيا أن تلم بحده ... فيكفيك عند الشط أن تصف اليمّا

ويكفيك أن تدعو أبا الطب باسمه ... فإن العلا صارت لمعنى اسمه وسما

فقل وأنثر الأزهار فوق مناقب ... تماثلها حسناً ، وتشبهها شماً

وخذ من فم الدنيا الثناء فطالما ... أشادت به نثرًا ، وغنّت به نظما

وحدث به الآفاق إن شئت ، إنها ... وقد عرفته ــ لن تزيد به علما

دعــونى أوفى بالقريض ديونه فقد عاد غرماً ما توهمته غنما

سموت إليه والظـلام يلفنى فيملؤنى رعباً ، وأملؤه همّـــا

أسير وفى قلبى من الحزن لوعة تكاد تذيب الصمّ ، لومسّت الصّما

تركت ببيتى جثــة آدمية كأن هلال الشك كان جمــا

شكت سقمها حتى بكاها وسادهـا

وكاد عليها يشتكى السهد والسقما

يمــزقها المــوت العنيف صراعه بأظفار دحمراً ، وأنيابه سحما

* * *

ففى البطن قرح لا يكف لهيبه وفى الرأس نار لاتبوح من الحمّى

إذا قلبتها العــائدات حسبنها خيالا . فلا عظما يرين ولا لحما

وقد وقف الطب الحديث حيالها عييًا . يكاد العجز يقتله غمًا

وغادرهـــا جمع الأساة كأنهم طيور رمى الرامى بدوحتها سهما

فلم يبق إلاّ الياس ، واليأس قاتــل

وأقتل منه نيّة لم تجــد عــزمـــا

فقلت «علىّ» ليس للأمر غيره إذا ماأدار الدهر صفحته جهما

« أبو الحسن » الجراح فخر بلاده

وأكـرم من يرجى وأشرف من يسمى

فزر داره يلقاك قبل ندائـه فثم الذى ترجوه من أمل ثمّـا

فما سرت نحو الباب حتى رأيته تقدم بسّام الأسارير مهتمّا

وقـد فهمتنى عينه ، وفهمته

وكان - بحمد الله - أسرعنا فهما

وجاء وجبريل الأمين أمـامـه

يمـدّ جناحاً من حنان ومن رحمى

وجسّ مكان الداء أول نظـرة كأن له علماً بموضعه قـدما

فما هـو إلا مبضع فى يمينه

أطاح بناب الموت واستأصل السّمّا

ورد إلى أهلى حيـاة عزيزة وبدّلهم من بؤس أيامهم نعمى

متى ذكروه فى خشوع تذكروا مآثره الجلىّ ، ونائله الجمـا

إذا ما امرؤ أهدى الحياة لميّت فذلك قد أهدى الوجود وما ضمّا

له مبضع تجرى الحياة بحده
يصيب حشاشات المنون إذا أدمى

أحن على المجروح من أم واحد
وأرفق من طفل إذا داعب الأُما

تعلم منه البرق سرعة خطفه
إذا ماجرى يستأصل اللحم والعظما

تكاد وقد شاهدت ومض مضائه
تظن الذى شاهدت من عجب حلما

كأن به نوراً من الله ساطعاً
يضئ له نهج الطريق إذا أمّا

أصابع أجدى خبرة من أشعة
وأصدق إن مرت على جسد حكما

فكم من حياة فى أناملها التى
تكاد شفاه الطب تلثمها لثما

وكم من يد أسدت إذا شئت وصفها
ضللت بها كيفا ، وأخطأتها كمّا

زها الشرق إعجابا به وبمثله
وقد عاش دهرا قبله يشتكى العقما

إذا قسم الله الكريم لأمة
بنابغة فرد ، فقد أجزل القسما

هنيئاً لك العمر السعيد فإنه ... عصارة دهر ضمت العلم والحزما

بلغت به عليا السنين ، وكلها ... مدارج مجد تفرع القمم الشما

كأنك منه فوق ذروة شامخ ... ترى من أمور الدهر أبعدها مرمى

زمان مضى فى الجد مامس شبهة ... ولاوصلت كف الزمان به ذما

فإن كرمتك مصر اليوم فإنما ... تكرم من أبنائها رجلا شهما

بذلت لها من صحة ورفاهة ... فأولتك حباً ما أبر وما أسمى

وألهمتها معنى الثناء ولفظه ... كريما ، فخذه اليوم من فمها نغما

إذا كان للرحمن فى الناس آية ... فإنك بين الناس آيته العظمى

تلألؤ رأى يسلب الشمس ضوءها

وكامل خلق علم القمر التمّا

فقل للذى يبغى لحاقك جاهدا ... رويدك حتى يدخل الجمل السما

إذا مارأى الناس المكارم حلية ... فأنت تراها فى العلى واجبا حتما

فعش واملأ الدنيا حياة وذكرة ... فمثلك يعلى ذكره العرب والعجما

وعاش مليك النيل يحمى ذماره ... وينشر فى أرجائه الأمن والسلما

مليك سما فى عهده العلم وازدهى   وأحيا المنى إحسانه حينما عما

مليك أقام العدل ركنا لحكمه   وطيدا ، فلا ظلما نخاف ولا هضما

تصفحت تاريخ الملوك فلم أجد   مشابهه ، ولا نــدّه حلما

تتيه القوافى حين تهتف باسمه   وتحلو به ، وتسمو به ختمـــا

قصيدة الدكتور ابراهيم ناجى
فى الاحتفال باليوبيل

إليك أزف فى اليوم الجليـــل ... تحيات الزميـــل إلى الزميـــل

تحيات يرف عليك منهـــا ... ندى الأزهار فى ظل الخميـــل

سلاماً للإمـــام علىّ جئنـــا ... إليـــه بالعشير وبالقبيل

نبايـــع منه فنـــا عبقـــريا ... وعقلا فى العقول بلا مثيل

تلفَّتْ يا على ترى وفـــــاءاً ... وما احتاج الوفاء إلى دليـــــل

* * *

أقول لحاسب الأعمـــار مهـــلاً ... وقعتَ على الحساب المستحيل

فلو أنّ الأُلى أنقـــذت جـــاءوا ... يؤدون القليل من القليـــــل

ولو أن الأُلى علمـــت جـــاءوا ... يودون القـــديم من الجميـــل

إذنْ لرأيت عمرك ألف نجم ... له فى اللانهاية ألف جيل

تعالى الله كم من معجـــزات معلقــة بأصبعـك النحيل
مُحيل القسوة الكبرى حنانا ورافعها إلى فــن جميــــل
معاركُ من دم أم ساح حــرب أسِنّتها منغمــة الصليــل
معاركُ كم كسبت بها حيــاةً وما لك فى الوقائع من قتيــل

* * *

بربك كم لحمتَ جراح قــوم وكم نَضو شفيف وكم عليل
إذا ما الموت أبدى ناجــذيه إذا انطفأتْ عيونٌ فى الذبــول
إذا غامت محاجــرها ظماءا كما غامت نجومٌ فى الأُفــول
كأنك جنّةٌ فى البيــد تَنْدى بعذب المــاء والظــل الظليل

* * *

نبى الطب أدركنــا إذا مــا تطلعت العيون إلى رســول
فكم فى مصر أجسادٌ مــراض بــأرواح كأشباح الطلــول

فوا أسفا إذا تُركت فظلّت فرائس للدعيّ وللدخيل

عليّ لقد مَلَكتَ عصاة موسى فقم واضرب أفعى الخُمول

أقول لاعين الطب الحيارى وقعت من الفخار على السايل

أبا حسن سلمت على الليالى وعِش متِّعتَ بالعمر الطويل

زجل للدكتور سعيد عبده
فى الاحتفال باليوبيل

الحق أرعــن ، ودون عليه لسان شبريــن
ينــق زى الضفــادع يقلــق النايمــين
ويحط عــود القصب فى صحبة الياسمين
ستيــن سنة إزاى ؟! .. ياألفة فصل أمحوتب
يا مداوى توت عنخ م الحصوة ، وذو القرنين ؟!

* * *

ستين سنة إزاى ؟ .. دنا قربت ع الخمسين
ون كنت خمسين سنة معاليك تكون كام ؟ .. س
فين جدول الضرب ، فين مسك الدفاتر فين
دا سجل مجــدك يا باشا ينقــرا قــرايــة
فى ٧٢ سنة ، وبلاش أقــول تسعين ؟!

جل اللى قص البدن خـلاه بـدون موميـا

زاد منه قصقوصه فى صيتك ملا الدنيـا

والثانية فى الروح بأت أحلى مـن الـدميـة..

واللى فضـل م البدن زاده على إيـدك

صحيح ما طالتش لكن أصبحت كميا !

* * *

يـا أبو المقص العجـب ، والجفت كـلابتين

ومشرطك جـل مـن انشاه عليه قسميـن

يقطع بضربه اللى غيرك يقطعـه بعشريـن

ما يزديدش عمـا أراد ملى ولا ينقـص

كأنه له عين ـ تعـالى الله ـ بين الحدين

* * *

يا زرع بلدى طرح قبل الأوان بزمـان

يا شمعـدان الأطبـا من زمـن لقمـان

يـــا عمـــدة الجـــراحين يابلسم الأحـــزان

بوركت فى اليد أيـــن ما تحطهـــا تطـــرح

شفـــا ، ورحمـــة ، وطولـــة عمـــر للعيـــان

• • •

بشرى الشفا ، آية لك ، مسكنها فى الشفتين

وطولـــة العمر ماركة لك على السكاكيـــــن

ورحمـــة الله وطنهـــا بين اديـــك لتنبـــــن

والسحـــر لمـــا أفـــل نجمـــه دفـــن سره

مابين صوابعك وقال كونوا عشر شياطين

• • •

سرحـــت خمسة عـــلى الـــدنيا ومرضاهـــا

وجعلـــت واحـــد على الكليـــــة أحياهـــــا

والتانى ع الاشلاء وسعهـــــا وعـــلاهـــــا

وطلقـــت تـــامن شطـــان الهـــلال لحمر

ووزارة الصحة قلعهـــا وفلاهـــا

كليـــة الطـب اسم الله حـــواليهـــا
كبرتها فى المـــدارك وفى مبـانيهــــا

وجعلـــت لابــن البلد معظـم كـراسيها
وكـان نتاجهـا عـدم عـالجتها أضحـت

تولد متين فى السنة وتقول خابت فيها

* * *

والقصر كان ياما كان... للبق فيه تصـانيف
بينه وبين القـرافة كـان مـافيش تكليـف

مـن لم تمت بالتمرجى فيه ، يجوع ويجيف
رفـرف شيطـانك عليـه احلوّ واتنضف

يرد روح العليل ويزيد فى عمـر الضعيف

* * *

أمسى وأصبح قصـور عـالية على الشطيـن
والاكام سرير العجـر زادوا عـلى الألفيـن

والكام حكيم الغـلابة ف كل قسم اثنين

حلت بهم بركـاتك تختخـوا وزادوا

وتناسلوا زى القطط. ف كل عـام بطنين

* * *

وأســرة الطـب كـانت كلهـا أيتــام

الأخ مايشوف أخوه فى كل عشرين عـام

والابن يجهـل أبوه إن كان هلــك أو دام

ألفـت بينهـم بمؤتمـرات وجمعيـة

قبـل على ضلها حتى العراق والشام

* * *

ووزارة الصحـة مـابآلك بهـا شهـرين

وعملـت فيهـا العجايب من طـلا وتحسين

وترقية مستوى واصـلاح شمــال ويمين

القصد قمشتهـا فى ثـوب نضيف وجديد

من بعـد تطهيرها فى مستحلب الكيروسين !

آدى صوابع تمانية م العشر شياطين

تمانية من عشرة كام ياحسابين ؟.. اتنين

وكلتهم ع الشباب يحموه من التطجين

ما اتلم شابين على نية عمل قومى

إلا أما كنت انت أول أو ثانى الشابين

* * *

فى كل هيئة نلاقى لك بها عفريت

وف كل اصلاح نراك فى بيته رب البيت

وف كل جمعية أنت الشمع وأنت الزيت

يا حاوى بز الحواه .. كبب مناديله

وهيه فارغة وفردها طلعت كتاكيت !!

* * *

إن كنت أعدد ... قوافى الشعر حتخونى

ون كنت أحصى حلاق ألف تاه ... منى

ون كنت أقصر ألاف الكل تاهمني

خلوني على البر أحسن لا القلم يحرن

وزوري ينبح وأنتم تزهقوا مني

* * *

اسمح لي أرقيك ياباشا رقوتين حلوين

الأولى باسم الله من شر النظر والعين

والثانية بسم الله م السن اللي فوق تسعين

والثالثة رقوة محمد بن عبد الله

م الابرة أن جمحت ون شطت السكين

* * *

يا معوض النيل عن مجده العظيم مجدين

ومعوض الطب عن مهده القديم مجدين

وكامي يتمه الطويل من منزلك بردين

عيد العايل والجريح والطب يوم عيدك

والشعب لك والحكومة والملك شاهدين

عيش للعظايم وعيش للمجد عيد ورا عيـــد

وعيش لفـــن الجراحـــة والأطبة عميـــــد

وعيش فى بنك المعـــالى للبلد دى رصيـــــــد

عيش حتى تنظـــر عميـــد للطب فى ولادك

«حسن» «على» زى بعضه ـ ون ممحت «تتعيد»!

زجل الأستاذ احمد الألفى عطية
فى الاحتفال باليوبيل

المجال ده مش مجالى   صنعة راقية وفن عــالى   وف يوبيل صاحب المعالى
إيه يقــول أحمد عطية

إيه يقول جنب اللى قالوا   وف ميدان الفن صالوا   وف مزايا البــاشا جالوا
مهما قــال بردك شويه

عجزى ماانكرشى إنه بادى   بس يشفع لى النوبادى   ضعف حيلتى واجتهادى
والوفا حــاكم علـــىّ

* * *

وللى ما يُدركش كلــه   برده ما يُتركش كلــه   صوره الخلاق وقال له
ياعلى رقّــع عبــــادى

شمت لك فوق حق طبعك   فى جهة ما تمد صبعك   عزرائيل مايكونش تابعك
امنعــه يخطى الجهادى

إمزع انت فى لحمه نيّه والأجل مضمون على غيــر جماعة الحانوتيــه

مش ح يبقى لك أعادى

* * *

جالينوس لو عاش وحصّل عهدك الزاهــى المأصّل كان حلف إنلك تفصل

من براعته ميت براعه

ماالحنا فيها ،آدى ليستر صاحب الصيت الريجستر بيه افندى مسيو مستر

قالوا ده جنبك إشاعــه

* * *

شئ صحيح مانيش بهاتى إنت داينى بحيـــــاتى وإن رجعت لذكرياتى

ألتقى لك فضل غالب

كام وكام سيحت دمى قطع بالمشرط. ف احمى لأ وأقول مرسيه يا عمى

وامدحك حــاضر وغايب

مبقــى نازل دبح فــى شئ وأنا شايفه بعنيّه قال وإيه دى إنسانيـه

لك عليها الشكر واجب

بختى ويّا الحكما مايـــل كم رأيت منهم هوايل عيشونى على السوايل
والحقـــن أيـــام بلايا

كنت اروح عيادتهم أشكى واشرح الأوجاع واحكى وانفطر وأنوح وأبكى
يقعـــدوا يبكوا لبكايا

من ليون لباريس للنـــدن أنفـــلق وازعق وأدّن ما التقيتشى حد أبـــداً
قاللى إيه أسباب عيايا

* * *

بس شاطر فى الفـــوزيته بعد مايرص الروشتـــه ينجعص ويقوللى إنت
فوت على بعد جمعـــه

بعد إسبوع تانى أرجـــع للحكيم ويقوللى اقلـــع ثم يكتشف ثم أدفـــع
والنيران فى جسمى والعه

والأكادة إنه مفيشـــى عندهم غير روح فى فيشى أجرى من خيبتى وطيشى
ألقـــى ميّه دون ومايعه

كل ده والنار بترعى والعلل عماله تسعى ستة سبعة تمانية تسعه

برده ساكت برضه صابر

كبدى حاسس إنه كتله والطحال مربوط بفتله قلت أقاتل الموت مقاتله

والحياة عايزة المكابر

وضب الترلى فى حوشنا قال قربنا لأكل عيشنا والله مى الألفى وحشنا

غاب كده ليه ع المقابر

* * *

رحت بره لبوابيّه لاجل ماعرف عندى إيه قال قوام صلوا عليه

مستحيل حا يخف تانى

عنده سر كومه كلاوى وف مصارينه بلاوى إيه يفيده غير متاوى

يبنى قبره . قلت بانى

أما ريون لما شفته قالى داءك ده عرفته بس أنا وحدى اكتشفته

فى الرئة يا حوستى يانى

مالتقيتشى طب نافع خدت بعضى وتنى راجع ع الوطن أشكى المواجع

وأبكى من بخت وطينه

أنت مبعوث العناية وف كتاب الخلد آيه طب عيسى اليوم روابه

أصبحت حالتى تحسر وأعمل إيه مانيش مقصر بس يعنى اللى مأثر

فىّ نوح قلبى وأنينه

ما بى أوجاعى وما بى هجر خلانى وصحابى بعد ما ضاع من شبابى

أحلى أيامه وسنينه

* * *

اشتكيت والشكوى مرّه والتقيت نار جنبى حرّه خت بعضى ورحت غمره

قلت فين شيخ الأطبّه؟

جه على إبراهيم سمعنى قلت له كبدى واجعنى مالتقيت مخلوق ينمى

مالى نام واداّنى شربه

ثانى يوم كسر ضلوعى ما سألشى فى دموعى بس فرحان فى وقوعى

بين إديه شوفوا المحبه

إيـده وصّلهـا لجوّه عند كبدي وراح بقـوّه ماسكه زي أحسن فتوه

ثم هات تقطيع فى كبدى

عمر من تانى انكتبلى بعد حرمانى اتوهب لى ما شفوشى حـد قبـلى

فى الوجود ولا حد بعدى

من يوميها وقلبى دايب فى الغـرام والحب خايب فُرجة ما بين الحبايب

واعمل ايه مكتوب ياوعدى

• • •

قلولى مين فى الكون يماثلك فى الجراحة صابعه كزلك يشفى أمراضنا ويسلك

فى نواحى الجسم كلـه

مجـد بصباعك بنيته ويشفى الأجسام سقيته انتشر فى الدنيا صيته

واللى نلتـه فى محلـه

لو أعـد اللى شفيتهم جيش عرمرم واكتفتهم شايلـه فضلك والسنتهم

فى مديحـك لم يكلّوا

إنــت مبعــوث العناية وف كتاب الخلــد آية طب عيسى اليوم رواية

عــدتها وجــددت فيها

إنت آمال كل مصرى ليقــى ومحمد ونصرى فى دماء حبك بيسرى

انت غــاية بنرتجيهــا

إنت وحدك تبقى جبهــة وفدى أو سعدى يهبهــا كــل نزعــاته يسيبها

عنــد بابك ويداريهــا

يا وزيــر صحة بلدنـــا ياللى بيك احنا انسعدنا بدى أتشعلق فى مدنه

وافضل أزعق يوم يوبيلك

* * *

وادعى ربى يديم حياتك فى نعيم ويصون لى ذاتك لجــل ماتدوم معجزاتك

على الوجود ويدوم جميلك

خــدها من قلبى تهــانى مش ملاحظ. من لسانى اليوبيل ده تعيده تــانى

باوحيـــد عصرك وجيلك

قصيدة للدكتور أحمد محمد النجدى
فى الاحتفال باليوبيل

تركت الهوى المضنى فقد فات وقته

وكيف وقد ضاق المشيب به ذرعا

أمامى فى دنيا البطولة والنهى صروح العلا والمجدلن تتصدعا

أمامى مطبوع الفؤاد على الهوى لمصر وأهليها أتته العلا طوعا

تبدى على فى الجراحة كوكبا وجاهد حتى صار فى الأفق ساطعا

وساهم فى الإصلاح من كل وجهة وأضحى لأعلام الكنانة رافعا

أقام على الجراحة معبدا وأدخل فيه الناس كهلا ويافعا

لُبدى إلى الآفاق معجز طبه وسطر فى تاريخه المجد ناصعا

ولو أن عيسى قد تأخر عصره لرام على فى النبوة مطمعا

وراح الحواريون يمشون حوله يظنونه عيسى إذا قام أو دعا

فما كان يدرى الناس أيهما الذى تبارك حتى صار فى الموت شافعا

أليس على يبرئ الناس دائما ويحيى نفوساً فى مضاجعها صرعى

بمبضعه الشافى يداوى سقامنا لأن له فى العبقرية مرتعا

يقدم من روض العلوم ثمارها و ن زهرها الفواح نضراً و يانعا

لقد حفزته همة علوية وغير على عاش بالجهل قانعا

دع الطب واستعرض صفات وزيرنا

إذا ذكرت كانت من المسك أضوعا

شبيه ابن عم المصطفى فى صفاته

وفى مكرمات قد وسطن به جمعا

نبيل كريم النفس لا متغطرس إذا مادعا للخير أروى وأشبعا

يواسى فقير الناس أن عز ناصر وغير على صار للخير مانعا

فلولاه كاد السقم يدوى قلوبنا

وأمسى طريح الداء فى القبر هاجعا

جهود على فى حياة وصحة وجهداً لدنا تدمير ما كان نافعا

* * *

هو المثل الأعلى لكل فضيلة وأطيبنا أصلا وأكرمنا فرعا

على إذا أدلى لمصر بحجة تلفت هذا الكون طراً ليسمعا

عميد أساة الشرق والغرب كلهم وأمهرهم فناً وأظرفهم طبعا

وأطهرهم بين الخليقة ذمة وأطيبهم قلباً وأكثرهم نفعا

يعيش على هانئاً في حياته ودام المليك الحر للخير منبعا

قصيدة للصيدلى عارف الودينى
في الاحتفال باليوبيل

يا (علـى) أنت ذو جد سعيدْ ... مجدُه ماعاش فى الدنيا يزيـد

إنها (الستونَ) من در غَـــدَتْ ... زينةَ التاريخ فى سِفْر الخلود

قد قضاها وهو شمسٌ ضوءهـ ... يبـدأ الّلألاءَ فينا ويعيد

* * *

يا (وزيراً) صحَّت الدنيا بـه ... طِبُّه للطِّبِّ فى مصرَ (عميدْ)

عشت أمثالا لهـا فى صحـة ... ناعم البال وفى عيش رغيـد

يتمنَّـــى النـاسُ للمـرء إذا ... فاض فيهم نفعُهُ العمرَ المـديد

* * *

أنت ذو (كف) إذا مَا حرّكتْ ... حدَّ (مِشْراط.) فالسُّقم تُبيدُ

أنت (جرّاحٌ) لـه فلسفةٌ ... قد هدَتْ للحقِّ ذا اللبِّ الرشيدْ

مـا لجسمٍ فيـه عضـوٌ فـاسـدٌ

عن سريع (البتر) كى يحيا مجيـد

وكذا (الأمةُ) إذ تنفى الـذى خانها ما فاتها الرأىُ السديد

* * *

يا (علىٌّ) إيه حدَّثنا بمـا من فنون الخير (للطِّبِّ) تُريدْ

أنت (رأسُ الطِّبِّ) فى مصرَ ألاَ

فاحكُمْ الجسمَ بأعصاب حديد

رُبّ ذى سُقْمٍ فقير قـد رأى راحة القبر ولا ذُلَّ العبيـد

* * *

إنما (الطبُّ) نشءمن رحمـة فهو (للرَّحْمةِ) بالناس يقود

* * *

يا (علىٌّ) فيكَ علَّقْنا الرَّجَـا وهنيئاً لك فينا كلُّ عيـد

وهنيئاً (بوسام العلـــم) إذ ... شرف الطب به (الملك المجيد)

فتَقَبَّلْ من تهـــانى (عارف) ... حليةً يهفــو إليها كل جيــد

ثم قُمْ ندعو كما تدعو العــلا : ... دُمْتَ يا (فاروقُ) للملك السعيد

«نشيد الوفاء»

قصيدة للدكتور رشيد كرم

خلِّ العوالي السُمرَ والصَمصامَه   آلات قتل لا أداة سلامَه

هي من حديد جهنم أبليسُها   حدَّادها من تدم يلقَ حِمامَه

وأعف ماضية بكفٍ مجرَّب   إن الثغور لجَرحِهَا بسَّامه

* * *

لعبت بأحشائي النصال كثيرة   والها بنفسي قَولةٌ ومَلامه

لكنَّ نصل «عليٍّ» كان شفيعها   فرجعت عن مرِّ الملام كرامه

فإذا انتضاهُ حسبت أن شهابه   برق بحديه يشقّ غمامه

ما القَينُ وشَّى صفحتيه وإنما   كتب الهُبلُ ثناءَهُ وسلامه

عجباً لمشحوذ يلعلع حدهُ   متحفّز لمن اشتكى آلامَه

وعليه تزدحم الشُكاة تيمنا   وأقلهم صبرًا يُطيق زحامه

والنصل ما حمل الشفاء بحدّه   لا ماشفى الشكوى بقطع الهامه

شرفٌ لعمرك إن أرواح العبا دوفيّةٌ . ذكرت له إنعامه
تبلى مودّاتُ الزمــان وتنقضى ومودة الآسى تدومُ دَوَامَــه

* * *

ألفيتُ قوماً يُنكرون على الطيـ ـب الفنّ والآداب بل أحلامَه
حسبوا الطبيب مقطع الأوتار مـ ـشلول الفؤاد مبدداً أنغامه
جهلوا . فإن له تكاليفَ الحيـا ة وطيبها . أعيَاده وصيامـه

* * *

والروحَ والريحانَ بعــد تَطَبُّــب تلقاه بختيشوع أو خيَّامَهْ
ما كان شرٌ ثلاثة فى بعلبــــــ ـك وقد أدارت أم عمرو مُدامه
والروض والندمان والكروان والـ ـساقى على دَنٍّ يفضّ فِـدامـه
« وعلىٌّ » موفــور البديهة مرهف وسواه يشحذ ذهنهُ أعــوامـه
أكل الذكاءُ غريضــه فقوامــهُ مما يقــى أعصابه وقَوَامَـــهْ
والشَغفُ فى المحبوب رمز هُيامه والحسن فى خدّ المليحة شامَه

حُزْرُ العيون ذكية ألبابهم   خمص البُطُونِ نفوسهم عزّامه
ألفيتُ أصدق شاهد فيه : أما   تلقاه صرّ جفونه وحزامه

* * *

ماقلت هذا سحر من ألقى العصا
في قصر فرعون يفضّ خِتامه
ما السحرُ ، ما فرعون ، ما حكماؤُهُ
والسِل بين يديه سلّ غُلامَه
بل قلت سباقٌ تخطّى جيلَهُ
فكأنما سبق الذى قُدامه

* * *

أوزيرنا الآسى حكيم الشرق لا   مستثنيا لبنان لا وشآمه
بوركت من أبوين قد وضعاك   فى صدر الزمان لِواءه ووسامَهْ
ما كنت توأمَ عُقْدِهِ لكنما   كنت الفريدة فاخرت توءامَه
أغراض أدوار الحياة كثيرة   وَلكل دور قد حفظت مقامه

وبلوغك الستين مرحلة لهـا ... فى كل أمر رونـق ووسامـة

لا تخش هلهلة السنين فثوبها ... حَوْكُ الصعيد امرّه والامـة

ووقتك أدعيةُ العباد فـإنهـا ... جُمَعٌ لها عند الإله كرامه

قصيدة للصيدلى نقولا حداد
فى الاحتفال باليوبيل

يا عليًّا دامت العليـا سناهـا فتسنمْ عنك صرف الدهر ناما
تتعـالى والمعـالى ما ثـلاث بين كفى عزك الأسنى احتشاما
جاءك المنصب من بعـد وسـام فامنح المنصب مجداً والوساما
عبقرىّ الطب دم للطب فخـراً إنمـا العـلم بأهليه تسامى
كنت للمرضى ملاذاً فغـدت صحة الأُمة ترجوك اهتمامـا
طالمـا دربت للطـب جنودا فارأس الجيش وعزّزه نظـاما
لك من فرسانك الآسين نطس يدحرون الداء لو كان عقـاما

* * *

شـر غـاز للورى أمراضهم قلَّ قتلى الحرب عن قتلى سقاما
ما عفـاريت بحـار وهـوا كجراثيم غزت سراً أناما
ليس غازى القوم كالغازى دما أحقـر الأخصام آذاهم خصاما

ليس مفنى الجيش يدعى بطلا   إنما مفنى الوبا يدعى هماما

قائده من غير ما سفك دم   ينقذ الشعب سراة وعواما

* * *

أيها القائد فى تطوافك الـ   ـقطر ابيت نداء القطر اهتماما

اعمل المبضع واستأصل تجد   سرطان الأُمة اليوم انقساما

وإذا أعوز هذا الداء مصل   فاجعل المصل وفاقاً ووئاما

رأيك الصائب اشفى بلسم   لجراح الشعب فامنحها التئاما

تتلقاك المهمات جساما   إذ تعوّدت المهمات جساما

* * *

فهى مهما تتفاقم نزلت   عند إبراهيم برداً وسلاما

كلما أعليت للعلم مقاما   رفع القوم لعلياك مقاما

ماجرى ذكر الأيادى البيض حتى   ملأت ذكرك مصر والشآما

* * *

كنت فى القصر عميداً منشئاً   من صغار النشء أعلاماً عظاماً

هم كريات الدم البيضاء فى   بدن الأُمة حرّضهم ترى ما...

حـاصروا المكـروب فى بؤرته　　وبسم منـه أردوه زؤامـا
كـان للمعهـد فى مغناك عهـد　　كنت أكفا من رعى فيه الذماما
ظـلَّ يرقى درجـات الفن حتى　　بلـغ الذروة قـدراً وانتظاما

* * *

يـاوزيـراً وضعـت فى كفه　　صحة القوم فما أثمنها ،ما...
كلمـا أعليت قـدراً وسعت　　دارة الأُفـق وزادتك مهاما
كعميـد كنـت فى دائـرة　　تشتكى فيها أمانيك الزحامـا
كوزير فسحت دائـرة الـ　　خدم الجلّى فزادتك اعتزاما
ياله جسما رقيقـاً قـد حـوى　　همة قعساء لا تخشى صـداما
وحجـى يلمـع وضَّـاء الذكا　　فى ليالى الكرب يجتاح الظلاما
وسجـايا موحيـات صـور الـ　　ـحسن للفن وراحـاً للندامى
عاش ثالوث النهـى والعلم والـ　　خلق فى جسم هيولىّ أقامـا

زجل للدكتور أحمد سرى

فى الاحتفال باليوبيل

لسه بدرى والسنين جاية كتيره

اليـوبيل ده فالصو والمئه ده بيرة

واللى فات كله يا باشا كان خميره

للعمـل الجـد ف وزارة كبيـرة

—

إيـه المناسبة أن مستشفى فـؤاد

هو وحـده ينفـرد بالعبقريه

يالله قسمنا همتك دى عا البـلاد

من أعالى النيـل لآخر اسكندريه

—

فضل جهلى عا البلد دى شئ كثيـر

عن أيدى الباشا تاب ساب الجراحـة

وقبل بعـد الرجـا يعمـل وزيـر

خاف لا ياخد مـن شتيمتى عاالقباحه

سرعته ف الشغل زى أحسن وابـور

قلت قـوم واشتغل سكة حـديد

هدى خلقك واحتمل خليك صبـور

والقط الصنعـه حتوصل يوم بعيد

كل يوم الفجر على المستشفى بـدرى

ومعـاى سليم وتوسكانته القديمـه

وان جريت حبه يقولى له بتجـرى

إنت فـاهم إن جريك له ده قيمـه

ميه ميـه حنلاقيه واقف يدخـن

وف هدوم الشغل مستنى جنابنا

كلمتين ع الريق للطمسه يسخن
لوف نص الليل حنيجى ده منابنا

المبنج نام والعيان ده شخر
وأنا صاحى للمناكفة ياناس بطولى
عم أحمد مزاع راح يجرى يبخر
إيه فى إيدى أعمله ياناس قولولى

اومى إيدك هات مقص ادينى إبره
مد إيدك هات لى حفت فتح ياأعمى
الجراحة ياافندى ديه عاوزه خبره
أوعى حاسب عا ال ده Vessel أما لخده

كل ده ف دقيقه واحدة ولسه فاضل
إنى أصحى سليم وأهدى خلق ستر

وف إيدى التانية المبعد اللى فاضل

ومعالى الباشا برده بده أكتر

وقت شغلك شخص تانى غير دا هود

فى الحكاية ديه ياما قلدوك

لو تشوفوا قلبه بس يا ناس لجوه

رقة العالم وأخلاق الملوك

عالمى مشهود له ف بلا الأجانب قدروه فى العلم واعترفوا بكفايته

مخ جبار له ميت ألف جانب صدقونى دى بداية فى حكايته

أنا عارفة زى مانتو اليوم أمامى ده رجل مالهوش نهاية فى المعالى

واللقب ما زانوش هو زانه ده عصامى

شق مجده بحد إيده له أمالى

خد بإيد المهنة دى وانتم شهودها
وجودكم النهار ده فخر ليه
وبإيديه فى القلب ياما راعى عودها
لما أثمر ثمركم والفضل ليه

إيه حكايتك يا وطن لو كان ولادك
يخدموك زى الراجل ده بالأمانة
كان زمان الغرب تحسد فى بلادك
والعدو يحسب حسابك فى الإهانه

فاكره والله أيام مابويا قال لى خد ده
لك مثل عالى واوعى يوم تفوته
حسن حظى إنى قضيت برده مده
أخدمه فى الشغل وارفع له جفوته

ده كريم أخلاق وجنتلمان أصـــولى

عمر ما المنصب ده غير فى طباعـــه

واحتقر الدنيا عمره ما كان وصـــولى

ما اشتراه العز ساعة يـــوم وبـــاعـــه

هو هو يوم ما كان بيه ولا بـــاشـا

حديث الحلـــو طبعه مش قيافـــه

والمقـــابلة هـــى هـــى بالبشاشة

مش متكلف منـــه طبعه اللطافه

يازعيم الشرق فى مهنة جـــدودك

ابن سينا عضمه يرقص ف التراب

ياللى حـــار العقل فى آخرة حدودك

كل يوم ف الطـــب تفتح لينا باب

يا أبونا كلنا اليوم ده عيــــدك .

رن عيــــده فى الستيـــن

من نفايحه فى الحياة الله يزيدك كنت فيها للبلد خــدام أمين

جــدت عــالطب بحياتك وبولادك

جدت بالاثنين ما كنتش فيه بخيــل

والتواضع والأدب فى العلــم زادك

وف وفاءك بالشرف سألبك مبيل

ليك جمــايل شفتها فى شلــه ليك جمايل عالصغير والكبير

ياما إيدك دى شفت من كل عله والغنى عندك تمام زى الفقير

وأنا عارفك ياما فضلك كان عليه وعلى غيرى ياباشا شئ كتير

ويامــا ياباشا نسيــت منا الأسيه

واعتبرت انى اللى فات كان شئ حقير

شدت وحدك برج هايل للكرامه والحكيم المصرى أصبح له سقام

يا مثال الحــر فى كرسى الزعامـــه

كان شعــارك طول حياتك للامــام

نشْ فى الطب الحديث وحدك خلقته

كلهـــم فضلك عليهــم أجمعين

وان وقف واحد لهم فى يــوم فلتتــه

يوم يوبيلك احتفــوا بيك فرحــانين

بص ليهم دول ولادك نشْ إيدك بصة الأب اللى معجب بالبنين

روح يا شيخ الطب اللهم زيدك فى حياتك السنين بعد الستين

قصيدة زجلية للدكتور محمد فخر الدين السبكى

اليوم كالعيد بل هو عيدان عيد لأرواح وعيد لأبدان

قالولى إيه يعنى عيد لأرواح قلت اسمعولى آتى ببرهانى

أدينى حتكلم وتخلوا أسماعكم من كل اللى رايح انطق به بلسانى

الروح كالورد والجسم كالأرض والشخص أجمعه يتمثل ببستان

إن كانت الأرض وحشاء فاحلة

لافيها نترات ولا كانى ولا مانى

وتزرع الورد أو تغرس شجيرته

هل يكبر الورد أو يخضر من تانى

بالطبع كلا مش ممكن نضارتها حتى وإن قلت اخضرى على شانى

كذلك الروح لاترضى لها سكنا

فى جسم ميت ولا فى جسم مرضان

الروح كالراح لاتمكث بكوبتها إن كان بالكوب ياكسر ياكسران

كذلك الحال إن شرك الجسم فالروح عندئذ فى كف رحمن

وإن أعدنا لهذا الجسم صحته وصارفى القوة كالطود وكالبان
واحمر خداه وصارت شفايفه مثل الدماء التى لونها قانى
فرحت الروح وحلفت لاتفارقه وأمسكت فيه بايد وأسنان
صارت القوة فى الدنيا هى الكل فالروح حتى لا ترضى بغلبان
عرفنا هذا ولكن فيه لسه حاجة عاوز أقولها ضرورى وهمانى
مين اللى رجع للجسم صحته حتى إن كان عيان شهران
مين بإيده صحتنا وراحتنا لو مرة قلنا آه يانى يامصرانى
هو الطبيب ولا أبغى له لقبا لا الملاك ولاالمصلح البانى
وكان الطبيب ومازال من القدم فى أوجه الخير هو الأول مش التانى
إن كانت الحسنات بالعمل توزن فاز الطبيب بفعله الإنسانى
هاذى هى الحال فى شخص يكون مثلى
حكيم صغير سوا ميرى وبرانى

فما بالكم واللى بنحتفل به الليلادى طبيب ووحدانى
شيخ الأطبة والرافع لواء همو وأبو الجراحة مافيش كلام تانى
الكل يعرفه من عرب ومن عجم حتى وإن تسأل عليه فى اليابان

كالشمس تطلع فى الشرق وفى الغرب

وتضىءُ فى النرويج وفى السودان

على بـاشا وأبـوه إبـراهيم   ياليت إبراهيم جـاب ثمـان

هو واحـد فى العـد إلا أنـــه   فى القدر قيمته عندنا ألفـان

ألفان يغنى من طبيـب مثـلى   لامن رجال من صغيرى الشان

مضى السنين لكى يعيد صحة   إلى السقيم بهمة الشجعـان

كانت أنامله وما زالت هـى   البلسم الشافى من الأدران

يسعى المريض إليه يمشى هكذا   ويعـود يمشى هكذا بأمـان

الجسم يشفى من غـزير علومه   والروح أيضا من سنا الوجدان

فإذا احتفلنا بالطبيـب الأكبر   كان المشارك فى الفرح لنا اثنان

الروح والجسم زى ما سبق قلت   أول كلامى ورايح أقول تانى

اليوم كالعيد بـل هـو عيدان   عيـد لأرواح وعيد لأبدان

الباب الخامس

ببليوجرافيا

الفصل الأول

أعمال على باشا ابراهيم

أولا : محاضرات ودراسات

١ — « الثقافة العلمية وأثرها فى الصحة العامة » :
الكتاب الأول للمجمع المصرى للثقافة العلمية — ١٩٣٠ .

٢ — « التعليم الطبى فى مصر فى العهد الحديث » :
الكتاب الثالث للمجمع المصرى للثقافة العلمية — ١٩٣٢ .

٣ — « السجاد » :
الكتاب السادس للمجمع المصرى للثقافة العلمية ١٩٣٥ .

٤ — « الطب المصرى بين عهدين » :
مقتطفات من كلمته فى نهاية حفل اليوبيل الشيني — المقتطف ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

٥ — « مذكرة اللجنة المركزية لتوحيد المصطلحات الطبية » :
مجلة مجمع اللغة العربية — جزء ٤ .

٦ — « لمحة إلى الحياة المصرية فى مشاكلها الصحية » :
المجلة الطبية المصرية — مارس سنة ١٩٤٠ .
« وهى المحاضرة التى ألقاها فى الجامعة الأمريكية سنة ١٩٣٢ » .

٧ - « الصحة العامة فى وسط الشعب » :

المجلة الطبية المصرية — مارس سنة ١٩٤٠ .

« وهى الكلمة التى ألقاها فى افتتاح الدورة الثانية للمجلس الاستشارى الصحى » . . .

ثانيا : خطابات وكلمات افتتاحية

١ — « خطاب فى حفلة افتتاح المؤتمر الطبى الثامن بدمشق » (١٧ يوليو سنة ١٩٣٥) :

(المجلة الطبية المصرية — مجلد ١٨ عدد ٨ ص ٣٥٥) ، ١٩٣٥ .

٢ — « خطاب فى افتتاح المؤتمر الطبى التاسع » :

(المجلة الطبية المصرية — مجلد ٢٠ عدد ١ ص ٤) ، ١٩٣٧ .

٣ — « خطاب فى حفلة افتتاح المؤتمر الطبى العربى الثانى » :

(المجلة الطبية المصرية عدد فبراير) ، ١٩٣٩ .

٤ — « كلمة افتتاح المؤتمر الرابع للاتحاد الملكى للجمعيات الطبية » :

(المجلة الطبية المصرية ، المجلد الثانى والعشرون ص ٧٥٧) ١٩٣٩

٥ — كلمة افتتاح المؤتمر الخامس للاتحاد الملكى للجمعيات الطبية :

(المجلة الطبية المصرية — المجلد ٢٣ ص ٥٧٦) ، ١٩٤٠ .

٦ — خطاب فى حفلة افتتاح المؤتمر الطبى العـــربى الثالث :

(المجلة الطبية المصرية — المجلد ٢٣) ، ١٩٤٠ .

٧ — كلمة الشكر فى نهاية حفل اليوبيل الذى أقيم تكريماً لـــه :

(المجلة الطبية المصرية — المجلد ٢٣) ، ١٩٤٠ .

٨ — كلمة افتتاح المؤتمر للطبى بأسوان :

(المجلة للطبية المصرية — المجلد ٢٥) ، ١٩٤٢ ص ٦٢ .

٩ — خطابه فى إفتتاح المؤتمر الطبى العربى الخامس والسنوى الرابع عشر (١٧—١٢—١٩٤٢) :

(المجلة الطبية المصرية — المجلد ٢٦) ، ١ / ١٩٤٣ ص ٣١ .

١٠ — خطابه رداً على مصطفى النحاس باشا فى احتفال رئيس الوزراء بالمؤتمر :

(المجلة الطبيـــة المصرية — المجلد ٢٦) يناير سنة ١٩٤٣ ، ص ٥٦

١١ — خطاب فى افتتاح المؤتمر الطبى الخامس عشر :

(المجلة الطبيـــة المصرية — المجلد ٢٧) فبراير ١٩٤٤ ، ص ٧٥

١٢ — خطاب فى حفل افتتاح المؤتمر الطبى العربى السادس والسنوى الســـادس عشر فى بيروت .

(المجلة الطبيـــة المصرية — المجلد ٢٨) يناير سنة ١٩٤٥ .

١٣ – كلمته فى افتتاح المؤتمر الطبى العربى السابع :

(المجلة الطبية المصرية – المجلد ٢٨) أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٤٥ ص ٢٧٩ .

١٤ – وكلمته فى حفل الغداء :

(المجلة الطبية المصرية – المجلد ٢٨) سنة ١٩٤٥ ص ٢٨٣ .

١٥ – وكلمته فى حفل العشاء :

(المجلة الطبية المصرية – المجلد ٢٨) سنة ١٩٤٥ ص ٢٨٥

١٦ – كلمته فى افتتاح الجلسة العلمية لعرض الخبرة التى اكتسبت فى الوقاية والتشخيص والعلاج فى وباء الكوليرا الحالى :
(ألقيت ١٧–١٠–١٩٤٦) .

(المجلة الطبية المصرية – المجلد ٣٠) سنة ١٩٤٧ ، ص ٤٣٥

ثالثا : فى التكريم والتأبين

١ – كلمته فى تكريم الدكتور محمد شرف بعد إتمامه للمعجم الطبى .
مجلة الجمعية الطبية المصرية سنة ١٩٣٠ ص ١٣٧ .

٢ – كلمته فى حفل منح الدرجات الفخرية لدوين وسليمان عزمى وبجام وعبد العزيز إسماعيل .

(مجلة الجمعية الطبية المصرية يونيو سنة ١٩٣٢) .

٣ ــ كلمته فى تخليــد ذكرى عبد الواحد الوكيل .

(مجــلة الجمعية الطبيــة المصرية فبراير سنة ١٩٤٥ ص٥٣)

٤ ــ كلمته فى تأبين ماكس مايرهوف :

(مجلة الجمعية الطبيــة المصرية يونيوسنة ١٩٤٥ ص ١٦٠) .

٥ ــ « جامعة فى رجل » ــ كلمة على باشا إبراهيم فى تأبين الدكتور محجوب ثابت وقد نشرت فى الكتاب التذكارى عن حياته. « مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٤٦ » .

رابعا : مقدمات كتب

١ ــ افتتاحية كتب «مشروع القرى» . .العام الثانى ــ صيف ١٩٣٤ .

٢ ــ مقدمة الكتاب التاريخى التذكارى عن حياة الدكتور محجوب ثابت « ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٤٦ .

خامسا : بحوث علمية فى اللغة العربية

١ ــ « المضاعفات الجراحية للحمى التيفودية » :

(المجلة الطبية المصرية ــ مجلد عدد ٦ ص١٧٧ ــ ١٨٥) ١٩٢١

٢ ــ « الدوالى الليمفاوية » :

(المجلة الطبية المصرية ــ مجلد ٥ عدد ١٠ ص٦٧١) ، ١٩٢٢

٣ – « أورام الجسم السبانى » :
(المجلة الطبية المصرية – مجلد ٥ عدد ١٠ ص ٦٧١ – ٦٧٦) ، سنة ١٩٢٢ .

٤ – «منشأ الحصوات » :
(المجلة الطبية المصرية – مجلد ٨ عدد ٧ ص ٤٢٣ – ٤٣١) ، سنة ١٩٢٥ .

٥ – « حصوات الحالب » :
(المجلة الطبية المصرية – مجلد ٦ عدد ٦ ص ٣٧٩) ، ١٩٢٥ .

٦ – « دوالى الأوعية الليمفاوية للحبل المنوى » :
(المجلة الطبية المصرية – مجلد ٨ عدد ١ ص ١ – ٢) ، ١٩٢٥

٧ – « حالات إكلينيكية » (المجلة الطبية المصرية : – مجلد ١٢ عدد ٢) ، ١٩٢٩ .

٨ – « ورم جسيم فى الغدة النكفية » :
(المجلة الطبية المصرية – مجلد ١٢ عدد ٢ ص ١٢٤ – ١٣٠) ، سنة ١٩٢٩ .

٩ – « حصوات الحالب » :
(المجلة للطبية المصرية – مجلد ١٢ عدد ٦ ص ٤٩٢) ، ١٩٢٩

١٠ – « حالات جراحية نادرة فى مصر » :
(المجلة الطبية المصرية – مجلد ١٣ عدد ٣ ص ٦٦ – ٦٨) ، سنة ١٩٣٠ .

١١ — « خراجــات الكبــد » :
(المجلة الطبية المصرية — مجلد ١٣ عدد ٤ ص ١٨٦ — ١٩٦) ،
ســنة ١٩٣٠ .

١٢ — « داء الفيل العربى » ، « تذكاراً للمرحوم محمد على باشا البقلى »
(المجلة الطبية المصرية — مجلد ١٥ عدد ٦ ص ٤٠٩) ، ١٩٣٢

١٣ — « التقــدم الحديث فى عــلاج الدرن الجراحى » :
(المجلة الطبية المصرية — مجلد ١٧ عدد ٧ ص ٣٦٠) ، ١٩٣٤

١٤ — « الطحــال » :
(المجلة الطبية المصرية — مجلد ٢٠ عدد ١ ص ٨) ، ١٩٣٧

١٥ — « خــراجات الكبــد الأميبية » :
(المجلة الطبية المصرية — مجلد ٢١ عدد ٤ ص ١٧٧) ، ١٩٣٨

١٦ — « المحاضرة العلمية التذكارية للمرحوم الحاج على لبيب بك عن
غنغرينا القــدم فى حرب الخنادق » :
(المجلة الطبية المصرية — المجلد ٢٣) ، ١٩٤٠

سادسا : بحوث علمية فى اللغة العربية بالاشتراك

١ — « بلهارسيا الحالب » — بالاشتراك مع أنيس بك أنسى :
(المجلة الطبية المصرية — مجلد ١ عدد ١ ص ١٣ — ٢٤) ،
ســنة ١٩١٧ .

سابعا : بحوث علمية باللغة الانجليزية

1. Malignant Anthrax of the Lungs (Journal of the Royal Army Medical Corps), 1904.

2. «Bilharziasis of the Ureter».
(Lancet Dec. I. pp. 1184-1186), 1923.

3. «Funicultitis». 1927.

4. «The Problem of Bilharziasis in Egypt» :
(Jour-State Med., Dec., Vol. 35, No. 12, p. 702-708), 1927.

5. «Splenomegaly» Compt. Rendu Congres international de Méd. Crop. et d'Hyg., Le Caire, Vol. 3) 1928.

6. «Bilharziasis» Compt. Rendu Congres international de Méd. Crop. et d'Hyg., Le Caire, Vol. 3), 1928.

7. «Circumcision» Compt. Rendu Congres International de Méd. Crop. et d'Hyg., Le Caire, Vol. 3), 1928.

8. «Stones of the Ureter» Brit. (Jour. of Urology, Dec., Vol. 1, No. 4 p. 396), 1929.

9. Surgical Experience (Journ. of the E.M.A., Vol. 14, p. 229, 1931.

10. Infection of Urinary Tract and the Formation of : Calculi (Journ. of the E. M. A., Vol. 15, p. 309).

11. Endemic Goitre in the Dakhla Oasis of Egypt, (Journ of the E.M.A. Vol. 15, p. 401), 1932.

12. Discussion of Prof. Papayoannou's paper on «Operation of Whitehead» (Journ. of the E.M.A, Vol. 16, p. 582), 1933.

13. Myositis Ossificans Progressive (Journ. of the E.M.A., Vol. 16. p. 597), 1933.

14. Discussion of Prof. Dunet's Paper on Grossesse Abdominale Secondaire à la Rupture d'une Grossesse Tubaire Méconnue (Journ. of the E.M.A., Vol. 16. p. 615), 1933.

15. Abdominal Position of Caecum (Journ of the E.M.A., Vol. 16. p. 642), 1933.

16. Discussion of Dr. Luchs' paper on «Case of Multilocular Cysts of the Lower Jaw» (Journ, of the E.M.A., Vol. 16. p. 655) 1933.

17. Discussion of Dr. Bahgat's Paper on «Interesting Clinical Cases with Operation» (Journ of the E.M.A., Vol., 16, p. 699), 1933.

18. Cholecystitis and Gall Stones (Journ of the E.M.A., Vol. 16), 1933.

19. Horse-shoe Kidney and Calculus in the Left Pelvis. (Journ, of of the E.M.A., Vol. 17, p. 48), 1934.

20. Stones of the Gall-bladder. (Journ of the E.M.A. Vol. 17, p. 661), 1934.

21. Conditions Chirurgicales de la Bilharziose ; (Soc. Int. Chirurgie Xe Congres Le Caire), 1935.

22. A Case of Acute Intestinal Obstruction due to an Unusual Cause. (Journ. of the E.M.A. Vol. 18, p. 660), 1935.

23. Relation of Hydrocele to Hndemic Funiculitis. (Journ of the E.M.A., Vol. 18, p. 661), 1935.

24. A Case of Traumatic Septic Meningitis Caused by Bac. Pyocyaneus (Journ. of the E.M.A., Vol. 20, p. 599), 1937.

25. Sarcoma of Glans Penis (Journ. of the E.M.A., Vol. 20, p. 602), 1937.

26. Liver abcess (Archivio Italiano di Chirurgia - Vol. 52).

ثامنا : بحوث علمية باللغة الانجليزية بالاشتراك

1. «Atmospheric Pollution» with Dr. Toade, 1907.

2. «Lymphangioplasty» with Madden and Ferguson (B.M.J., p. 1212), 1912.

تاسعا : خطب افتتاحية بالانجليزية

1. Speech at the 6th Annual Congress, Jerusalem (Journ. of the E.M.A., Vol. 16.p. 170), 1933.

عاشرا : دراسات بالانجليزية فى غير الطب

1. Early Islamic Rugs of Egypt, or Fostat Rugs.

الفصل الثانى

آثار عن على باشا ابراهيم

١ — د . إبراهيم رجب فهمى

— كلمة الصيدلة فى الاحتفال باليوبيل :

المجلة الطبية المصرية : ١٢ — ١٩٤٠ :

٢ — ٣ د . إبراهيم شوقى

كلمة عميد الطب فى الحفل العلمى يوم اليوبيل .

المجـلة الطبية المصرية : ١٢ — ١٩٤٠ .

— كلمة النقابة العليا للمهن الطبية فى حفل التأبين .

المجـلة الطبية المصرية : ٥ — ١٩٤٧ .

٤ — د . إبراهيم ناجى

— قصيـدة :

المجـلة الطبيـة المصرية : ١٢ — ١٩٤٠ .

٥ — د . أحمد الألفى عطية « عضو مجلس نواب » :

— زجل فى الاحتفـال باليوبيل :

المجـلة الطبيـة المصرية : ١٢ — ١٩٤٠ .

٦ – د . أحمد سرى

– زجل فى الاحتفــال باليوبيل .

المجــلة الطبيــة المصرية : ١٢ – ١٩٤٠ :

٧–٨ أحمد شوقى

– وقال فى تكريم الدكتور على بك إبراهيم الجراح العبقرى الشوقيات الجزء الثانى .

– مقتطفات من قصيدة له فى تكريم الدكتور على باشــا إبراهيم .

المقتطف فبراير ١٩٣١ .

٩– د . أحمد عبد النبى

– كلمــة أطباء الجيش فى العيــد الستينى :

المجــلة الطبيــة المصرية : ١٢ – ١٩٤٠ .

١٠– د . أحمد لطفى أبو النصر

– كلمــة الطلاب فى حفل التأبين :

المجــلة الطبيــة المصرية : ٥ – ١٩٤٧ .

١١ – د . أحمد محمد النجدى

– قصــيدة بمناسبة اليوبيل .

المجــلة الطبيــة المصرية : ١٢ – ١٩٤٠ .

١٢ ــ د . أمين ماهر

ــ كلمــة أطبــاء الأسنان فى اليوبيل :

المجــلة الطبيــة المصرية ١٢ ــ ١٩٤٠ .

١٣ ــ د . بطرس صليب

ــ بعض الذكريات عن الدكتور على أفــندى إبراهــيم فى أسيوط (١٩٠٤ ــ ١٩١٠) .

المجــلة الطبيــة المصرية ٣ ــ ١٩٤١ .

١٤ ــ د . ت باباينى Th. Papayaznnou

«ou Nom des Medicins Etrangers en Egypte»

المجــلة الطبيــة المصرية ١٢ ــ ١٩٤٠ .

١٥ــ د.جورجى صبحى

«Aly Ibrahim-an appreciation». المجــلة الطبيــة المصرية ١٠ ــ ١٩٤٠ .

١٦ ــ ١٨ حافظ ابراهيم

ــ إلى الدكتور على إبراهيم بك (نشرت فى ١٥ ــ٩ــ١٩٢٢)

ــ وفى الجزء الأول من ديوانه

فى مناسبة عمل عملية لمحمــد محمود باشا (نشرت فى ٢٥ــ٧ــ١٩٣٠) .

وفى الجزء الأول من ديوانه

ــ وفى حفل التكريم الذى أقيم ســنة ١٩٣٠ .

ديوان حافظ ــ الجزء الأول .

١٩ ـ ٢٠ د . حسن ابراهيم

ـ كلمـــة شكر بالنيابة عن الأسرة فى حفل التأبين .

المجـــلة الطبيـــة المصرية : ٥ ـ ١٩٤٧ .

ـ كلمـــة فى حفل استقباله عضواً بمجمع اللغـــة العربية .

مطبوعات المجمع (تحت الطبع) ، ومجلة الثقافة ٥ـ ١٩٧٨ .

٢١ ـ ٢٤ خليل مطران

ـ تهنئة للدكتور على باشا إبراهيم بمنصب عميد الطب ووكيل الجامعـــة المصرية .

ديوان الخليل ، جزء ٣ ، ص ٣١٤ .

ـ تهنئة برتبة الباشوية للدكتور على باشا إبراهيم :

ديوان الخليـــل ، جزء ٤ ، ص ٥٧ .

ـ مقتطفات من القصـــيدة الســـابقة :

المقتطف فـــبراير ســـنة ١٩٣١ :

ـ كلمة فى اليوبيـــل « قصـــيدة »

المجـــلة الطبيـــة المصرية ، ١٢ ـ ١٩٤٠ .

٢٥ ـ د. رشيد كرم

ـ نشـــيد الوفاء .

المجـــلة الطبيـــة المصرية : ١٢ ـ ١٩٤٠ :

٢٦ ــ د. زكى عبد المتعال

ــ على باشا إبراهيم فى الخدمة الاجتماعية .

المجلة الطبية المصرية : ١٢ ــ ١٩٤٠ .

٢٧ ــ د. سعيد عبده :

ــ زجل فى الاحتفال باليوبيل .

المجلة الطبية المصرية : ١٢ ــ ١٩٤٠ .

٢٨ ــ د. سليمان عزمى

ــ كلمة فى افتتاح حفلة التكريم العامة :

المجلة الطبية المصرية : ١٢ - ١٩٤٠ .

٢٩ ــ عارف الودينى :

تحية الصيدلى عارف الودينى (قصيدة) .

المجلة الطبية المصرية : ١٢ ــ ١٩٤٠ .

٣٠ ــ عبد الرحمن صادق :

ــ « ساعة عدل » الكتاب الأسود عن المستشفيات المصرية للدكتور سيسل البورت .

البلاغ : ٢٩ ــ ١ ــ ١٩٤٧ .

٣١ ـ عبد الرحمن عزمى هنو

ـ صوت الطفولة « قصيدة » :

المجلة الطبية المصرية : ١٢/ ١٩٤٠ .

٣٢ ـ عبد الرحمن عمر

ـ كلمة فى حفل التأبين .

المجلة الطبية المصرية : ٥ ـ ١٩٤٧ .

٣٣ ـ عبد الرزاق السنهورى

ـ كلمة فى حفل التأبين بالنيابة عن جامعة القاهرة .

المجلة الطبية المصرية : ٥ ـ ١٩٤٧ .

٣٤ ـ د. عبد العزيز اسماعيل

يشكر على باشا إبراهيم فى حفل تكريم عبد العزيز إسماعيل .

المجلة الطبية المصرية : ٥ ـ ١٩٤٧ .

٣٥ ـ ٣٦ ـ الشيخ عبد العزيز البشرى

ـ فى المرآة (٢٤)

السياسة الأسبوعية : ٢١ ـ ٨ ـ ١٩٢٦ .

ـ مقتطفات من كلمة له :

المقتطف فبراير سنة ١٩٣١ .

– كلمــة فى اليوبيــل :

المجــلة الطبيــة المصرية : ١٢ – ١٩٤٠ .

٣٧ – عثمان وصفى :

– جماعة إنقاذ الطفولة المشردة ، تاريخها وتكوينها .

المجــلة الطبيـ~ المصرية : (١٩٤١) ص ٧٦ .

٣٨ – ٣٩ – على الجارم

– قصــيدة الجــارم بك فى اليوبيل :

المجــلة الطبيــة المصرية : ١٢– ١٩٤٠ .

– إلى الراحل العزيز الدكتور على باشا إبراهيم .

الأهــرام ٣٠–١–١٩٤٩ . .

٤٠ – على الكردانى بك

– مصر تصنع مستحضراتها الطبية :

المجلة الطبيــة المصرية (١٩٤٠) ص ٦٦٦ .

٤١ – ٤٢ – د. على توفيق شوشه

– الدكتور على إبراهيم باشا وزير الصحة العمومية :

المجــلة الطبيــة المصرية ١٢–١٩٤٠ .

– كلمة فى حفل التأبين الذى أقامه بمجمع اللغة العربية مساء ٢٤–٣–١٩٤٧ .

مجـلة مجمع اللغـة العربية ج ٧ :

٤٣ – د . عيسى حمدى المازنى

– كلمة فى اليوبيل عن على باشا إبراهيم كرئيس للاتحاد الملكى للجمعيات الطبيـة .

المجـلة الطبيـة المصرية ، ١٢ – ١٩٤٠ :

٤٤ – د . ليلى على ابراهيم

The Collection of Dr. Aly Ibrahim in the Museum of Islamic Arts», PRISM (1975-1976).

٤٥ – ٤٦ – محمد بهى الدين بركات

– كلمـة فى اليوبيل الستينى :

المجـلة الطبيـة المصرية ، ١٢ – ١٩٤٠ .

– على إبراهيم والجيل الجـديد « مقتطف » :

المقتطف ١١ – ١٩٤٠ .

٤٧ – ٤٨ – د . محمد خليل عبد الخالق

– كلمة فى اليوبيل بالنيابة عن الجمعية الطبية المصرية .

المجـلة الطبيـة المصرية ، ١٢ – ١٩٤٠ .

- كلمة فى حفل التأبين بالنيابة عن الجمعيـة الطبيـة .

المجـلة الطبيـة المصرية ٥ - ١٩٤٧ .

٤٩ - ٥٠ - د . محمد عبد الحميد

- الدكتور على إبراهيم باشا جراحاً :

المجـلة الطبيـة المصرية ، ١٢ - ١٩٤٠ .

- على إبراهيم باشا وتفوقه فى الجـراحة « مقتطف » .

المقتطف ، ١١ - ١٩٤٠ . ٩

٥١ - د . محمد فخر الدين السبكى

- قصـيدة زجليـة .

المجـلة الطبيـة المصرية ، ١٢ - ١٩٤٠

٥٢ - ٥٤ - د . محمد كامل حسين

- كلمـة كليـة الطب فى حفل التأبين .

المجـلة الطبيـة المصرية ، ٥ - ١٩٤٧ .

- الدكتور على باشا إبراهـيم .

ص ٣٣٧ الكاتب المصرى ، مارس سـنة ١٩٤٧ .

- فصل من كتاب « متنوعات » ج ١ .

القـاهرة ، سـنة ١٩٥١ .

٥٦ ــ د . محمد مبــارك

ــ كلمــة فى حفل التأبين بالنيابة عن الجمعيات الطبية الفرعيــة .

المجــلة الطبيــة المصرية ٥ ــ ١٩٤٧ .

٥٧ ــ د . محمود دياب

ــ تخليــد ذكرى الدكتور على باشا إبراهيم .

المقــطم ٧ــ٢ــ١٩٤٩ .

٥٨ ــ د . محمود ماهر

ــ على باشا إبراهيم فى الخدمة الطبية العامة بمصر والشرق .

المجــلة الطبيــة المصرية ١٢ ــ ١٩٤٠ .

٥٩ ــ د . مصطفى الديوانى

ــ على باشا إبراهــيم .

الثقــافة ، ١١ــ ٢ــ١٩٤٧ .

٦٠ ــ د . منصور فهمى

ــ كلمــة فى حفل التأبين بالنيابة عن جمعية الهــلال الأحمر .

المجــلة الطبيــة المصرية ٥ ــ ١٩٤٧ .

٦١ ــ د . نجيب اسكندر

ــ كلمة فى حفل التأبين بالنيابة عن وزارة الصحة العمومية .

المجلة الطبية المصرية ٥ ــ ١٩٤٧ .

٦٢ ــ ٦٥ ــ د. نجيب محفوظ

ــ مقتطفات من خطبة له فى حفل الباشوية .

« المقطم » فبراير سنة ١٩٣١ .

ــ «The history of medical education on in Egypt» كتاب ، ١٩٣٥ .

ــ على باشا إبراهيم كعميد لكلية الطب .

المجلة الطبية المصرية ١٢ ــ ١٩٤٠ .

ــ على باشا إبراهيم وكلية الطب « مقتطفات » .

المقتطف ١١ ــ ١٩٤٠ .

٦٦ ــ نقولا حداد

ــ قصيدة فى اليوبيل الستينى .

المجلة الطبية المصرية ١٢ ــ ١٩٤٠ .

٦٧ ــ ٧٩ ــ محرر المجلة الطبية المصرية

ــ دعوة إلى كافة الأطباء فى مصر والشرق الأدنى .: يوبيل الدكتور على باشا إبراهيم ، يوليو سنة ١٩٤٠ .

— دعوة عامة لحضرات الأطباء بمناسبة يوبيل الدكتور على باشا إبراهيم ، سبتمبر سنة ١٩٤٠ .

— اهـــداء . . أكتوبر سنة ١٩٤٠

— الدكتور على باشا إبراهيم . أكتوبر سنة ١٩٤٠ ؛

— Dedication. أكتوبر سنة ١٩٤٠ ؛

— Land marks of Aly Pasha Ibrahim's Life. ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٠ ؛

— كلمة الأسرة الطبية فى كتاب التقدير والتكريم المعهدى إلى معالى الدكتور على باشا إبراهيم ، ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

— قرارات الأسرة الطبية والهيئات الأخرى لتخليد ذكرى العيد الستينى لمعالى الدكتور على باشا إبراهيم ديسمبر ١٩٤٠

— العيد الستينى لمعالى الدكتور على باشا إبراهيم « وصف الحفـــل » ، ديســـمبر سنة ١٩٤٠ .

— إيرادات ومصروفات العيد الستينى . ديسمبر سنة ١٩٤٠ ؛

— بعض البرقيات التى وردت أثناء الإحتفال . ديسمبر ١٩٤٠ .

— حفل تأبين للدكتور على باشا إبراهيم . مايو سنة ١٩٤٧ ؛

— سجل الخالدين . . الأستاذ الدكتور على إبراهيم (باشا) . عدد خاص ، ســـنة ١٩٧٠ .

٨٠ ــ ٨٤ ــ محرر الأهرام :

ــ تقــدير ملكى للمرحوم الدكتور على إبراهيم باشا .
٣٠ــ١ــ١٩٤٧ .

ــ جنازة الدكتور على باشا إبراهيم أعظم جراح فى الشرق .. الهيئات الطبية تنعى الفقيد ، ٣٠ــ١ــ١٩٤٧ .

ــ الدكتور على إبراهيم باشا . . صدى وفاته فى لبنــان .
٢ــ٢ــ١٩٤٧ .

ــ تخليد ذكرى الدكتور على إبراهيم باشا « اقتراح حسن كمال بك بإقامة مسجد فى الجامعة » . ٤ــ٢ــ١٩٤٧ .

ــ إلى على إبراهيم باشا « بيتان من الشعر بتوقيع السيد . .
٢ــ٢ــ١٩٤٧ .

٨٥ ــ محرر البلاغ :

ــ على إبراهيم باشا فى ذمة الله . ٢٩ــ١ــ١٩٤٧ .

٨٦ ــ محــرر المصرى :

ــ على إبراهــيم باشا . ٢٩ــ١ــ١٩٤٧

ــ تشييع جنازة الفقيد العظيم المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا.
٣٠ــ١ــ١٩٤٧ .

٨٨ – محـــرر المقطـــم :

– حداد الجامعة على روح مديرها .	٢٩–١–١٩٤٧
– على إبراهـــيم باشا .	٢٩–١–١٩٤٧
– جنازة الدكتور على إبراهـــيم باشا .	٣٠–١–١٩٤٧

(تم بحمـــد الله)

فهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٧٧٨/١٩٨٥

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٧٧٢ - ٧